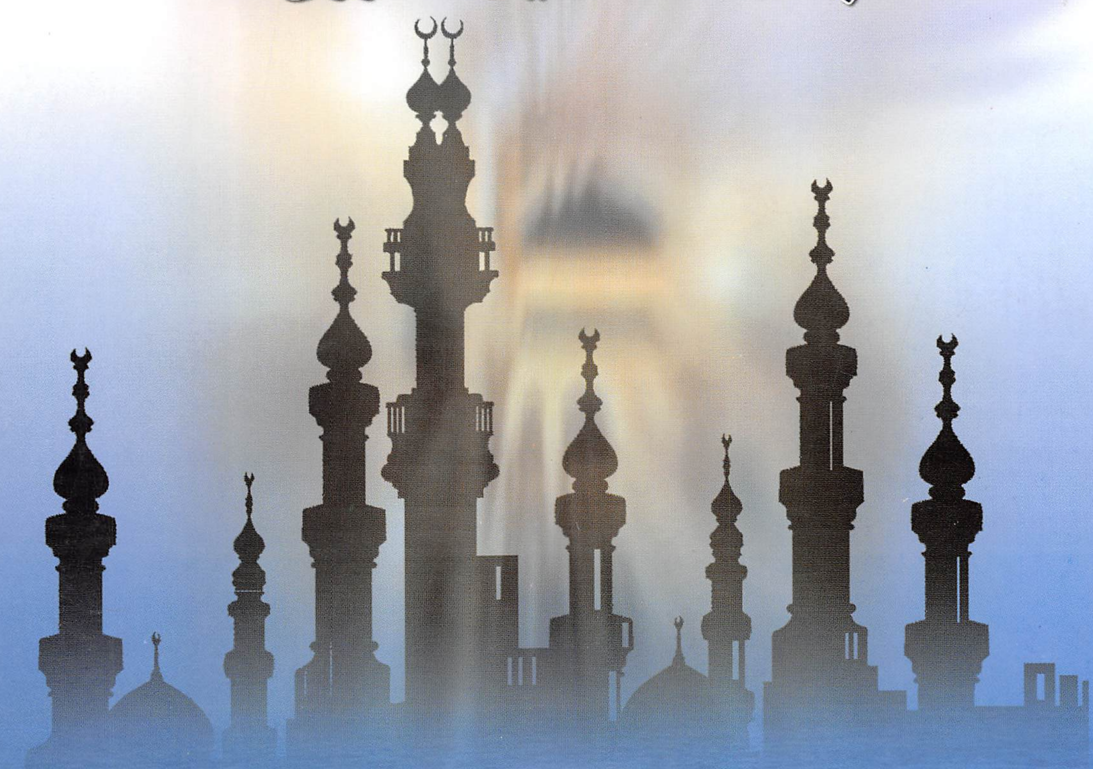
الدعوة الإسلامية ودورها في مواجهة التنصير بمنطقة النيل الأزرق



محمد أحمد المبارك

مجمع ودسلمان الإسلامي

السودان



- ولد الشيخ/ محمد أحمد المبارك بقرية ود سلمان، محلية سنار سنة ١٩٤٦م.
- تخرج في جامعة المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة ١٩٧٦م.
- حصل على ماجستير في الدعوة الإسلامية من كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة القرآن الكريم سنة ٢٠٠٢م.
- حصل على عدة دورات تدريبية:
  - التعليم طريقة ومادة في مرحلة الأساس ١٩٦٧م ودورة بمعهد الفاشر في سنة ١٩٧٠م.
  - منتدى دعوي مع الملحقية السعودية بالخرطوم سنة ١٩٩٩م.
- عمل في مجال الدعوة بجمهورية اليمن، منطقة سبأ، ومعلماً بمدرسة بلقيس القجلة ١٩٧٨م.
- منذ ١٩٧٨م وحتى الآن يعمل مع الملحقية السعودية بالخرطوم في حقل الدعوة الاسلامية بمنطقة النيل الأزرق بالسودان.
- له عدة أنشطة فإلى جانب إدارة مناشط الدعوة بمحلية سنار بولاية النيل الأزرق يقوم بمتابعة عمل كافل اليتيم بالولاية الوسطى مع البلاد العربية ١٩٨٠ - ١٩٩٠م
- متعاون مع منظمة الدعوة الإسلامية في نفس المنطقة مما أدى - بعون الله وتوفيقه - إلى إسلام ما يزيد عن سبعة آلاف شخص.
- يعمل الآن إلى جانب عمله مع الملحقية السعودية بالخرطوم مديراً لمجمع ود سلمان الإسلامي الذي يحتوي على مدرسة قرآنية وعيادة طبية ومركز للمهتدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة الإسلامية ودورها في مواجهة التنصير في منطقة النيل الأزرق

تأليف

محمد أحمد المبارك

ماجستير في الدعوة

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية ٣٧٩ / ٢٠٠٥
الرقم الدولي (ردمك) : ٦-٦٥-٦٩-٩٩٩٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وَلَن تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم ، قُل إنَّ هُدَى اللَّهِ هُو الهُدَى ، وَلَئِن اتَبَعْتَ أهْوَاءَهُم بَعدَ الَّذِي جاءكَ مِنَ العِلمِ مَّا لَكَ مِن اللّهِ مِن وَلِي وَلاَ نَصِير ﴿١٢٠﴾

البقرة : آية ١٢٠

قال ﷺ :

(والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار)

رواه مسلم عن أبى هريرة ، مرفوعاً

إهداء

إلى أمي ، وأبي محرك راية التوحيد حين
تلاطمت أمواج الشك في منطقة سنار . إلى طيب
الذكر الشهيد / عبد السلام سليمان سعيد .
وإلى روح ابني الشهيد / خالد محمد أحمد .
إلى كل الشهداء الذين عاشوا كالشموس
تعيش على ضوئها الأحياء ، إلى كل الدعاة
والمؤسسات الدعوية التي يشع منها نور القرآن
على أطراف وطني الناهض على أن يكون على
هدى وسراج منير إلى كافة أصحاب الطموح
والفكر على طريق الحق واليقين .

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسول الله وعلى آله وصحبه ، عملاً بحديث النبى صلي الله عله وسلم :(لا يشكرُ اللّهَ من لا يشكر الناس).

فإنه يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخوة الذين لم يبخلوا عليَّ بنصح أو إرشاد أو توجيه ، وأخص منهم شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور أحمد على الإمام مستشار رئيس الجمهورية لشئون التأصيل ، وأشكر كذلك وأقدر الملحقية السعودية الدينية بالخرطوم لمساعدتهم لي فى إنجاز هذا البحث ، ولا أنسى كذلك أن أشكر كافة الأخوة والزملاء والدعاة بمكتب الملحق الديني الذين وجدت منهم التشجيع، وكذلك الشكر للأخ د. محجوب أحمد طه لما لمسته عنده من تشجيع وتوجيه . والشكر موصول أيضا للأخ الشيخ سر الختم عكاشة الذى قام بتنسيق هذا البحث وإخراجه في هذا الكتاب بهذه الصورة فجزاه الله خيراً...

وختاماً أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي وشيخي الجليل د. عبد الله عبد الحي أبوبكر عميد عمادة شئون الطلاب بجامعة القرآن الكريم ، فقد كان نعم المشرف الحريص على بحث تلميذه ، فلم يتوان في تقديم النصح والتشجيع المستمر ولم يأل جهداً في إرشادي وتوجيهي فجزاه الله عني خير الجزاء وشكر الله له .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونستهديه ، وأشهد ألا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله .

الحمد لله الذي أوقد جذوة الإيمان في قلوب عباده المؤمنين ، واختار من بينهم من ركبوا عالي الهمم ، فرحلوا عن ديارهم تاركين الأهل والولد ، وتوكلوا على عقيدتهم ينشرون فلاح أمتهم باتباع دين الإسلام والنور الذي جاء به . فامتطوا مطاياهم عبر السهول والوديان وبين الأحراش وأعالي الجبال لتبليغ أمر الله ونشر دينه غير آبهين بما يصيبهم وما يلاقونه من عنت وتحديات قوى الشر والباطل .

ومن بين النفر الكريم نذكر الأستاذ الباحث الشيخ الجليل محمد أحمد المبارك والذي تخرج في جامعة المدينة المنورة عام ١٩٧٠ وعمل باليمن الشمالي منطقةسبأ عام ١٩٧٨ ويعمل حالياً مبعوثاً للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي بالسودان منذ عام ١٩٧٨م وحتى تاريخه .

نال درجة الماجستير العام من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بدرجة جيد جداً وموضوعه « الدعوة الإسلامية ودورها بمنطقة النيل الأزرق» . وله نشاط مقدر وإسهامات كثيرة .

١ . تقديم برامج دعوية بتلفزيون ولاية سنار بمواضيع متنوعة تخص الدعوة .

٢ . قيام مجمع ودسلمان الإسلامي بمنطقة سنار محلية السكر مما أدى لإسلام أكثر من ٥,٠٠٠ (خمسة ألف) فرد من قبائل التماس والتداخل اللغوي والتمازج الحضاري ولله الحمد والمنة . ويحوي هذا المجمع مدرسة قرآنية وتلاميذها بالصف الثامن ويقوم بتوفير وتقديم العلاج لكافة المواطين بالمنطقة .

٣ . ولكثافة هذا المد والإقبال على الإسلام فيه فهو يرعى قيام معهد عالى يعتني بعلوم القرآن والسنة لاستيعاب الطلاب بالمنطقة ليكونوا دعاة المستقبل

ونواة تذخر بنور المعرفة وتبليغ الدعوة على هدى ومعرفة .

إن المنطقة التي عناها الأستاذ محمد أحمد المبارك هى منطقة النيل الأزرق، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنطقة فى السودان تعتبر جسراً هاماً ، حيث أنها تربط بين الأمة الإسلامية العربية والأمم الأفريقية ، ومن ثم فإن أمم الضلال تتكالب لإزالة وطمس الهوية الإسلامية فى السودان عامة وهذه المنطقة خاصة .

ومن هنا برز هذا البحث والذي يرجو مقدمه أن يعم الإسلام ليكونوا على بصيرة من أمر دينهم ونبراساً هادياً للدعوة بالسودان خاصة مناطق التماس .

امتطى الأستاذ محمد أحمد المبارك همته مستعيناً بالله والنور الذي بين جنبيه وأعد خطته وقام بمسح ودارسة تلك المناطق سالكاً ومتخطياً وعورة الطرق ، غايته نشر دعوته بين تلك القبائل ملتمساً من الله سبحانه وتعالى هدايتهم من ظلمات الشك إلى نور اليقين ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

جزى الله الأستاذ محمد أحمد المبارك خير الجزاء وكتب له فى كل خطوة خطاها وفى كل كلمة قالها وفي كل دعوة دعى بها الأجر العظيم إنه نعم المولى ونعم النصير.

ونسأل الله له التوفيق والسداد وأن يعم بنفعه جميع المسلمين.

،،،، ولله الحمد أولاً وآخراً،،،،،

بروفسير / الزبير بشير طه

وزير العلوم والتقانة

المقــــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ، مخرج الناس من ظلمات الشك إلي نور اليقين ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، أخرج الناس من عبادةالعباد إلى عبادةرب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعةالآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، الرسول الأمي الذي وضع الاستدلالات الوثيقة التي تناولت بالرد على الشبه السائدة لدى معارضيه ، والشبه التى يمكن أن يختلقها الجدل ولن تعرف الأعصار المتطاولة حتي قيام الساعة كتاباً مثل القرآن يعرض قضية الإيمان فتعم الأعصار المتطاولة حتي قيام الساعة ، يعرض قضية الإيمان ويحيطها بأنواع الأدلة ، معتمداً على حرية العقل والضمير فى إحقاق الحق وإبطال الباطل .

(أم اتَّخَذُوا ءآلِهَةً مِن الأرض هُم يُنشِرُون ❖ لَو كَانَ فِيهِمَا ءآلهةٌ إلاَّ اللَّه لَفَسدتَا فسُبْحان اللّهِ ربِّ العَرش عَمَّا يَصفُون ❖ لا يُسألُ عَمَّا يفعَلُ وهُم يُسألُون ❖ أم اتَّخَذُوا مِن دُونِه آلهةً ، قُل هَاتُوا بُرهَانَكُم هَذا ذِكرُ مَن مَّعِيَ وذِكرُ مَن قَبلي بَل أكثَرُهُم لا يَعْلَمُون الحَقَّ فَهُم مُّعرِضُونَ). (١)

ومحمد ﷺ دافع عن قضية التوحيد ، يطلب من خصومه الدليل وينتقل من دفاعه عن التوحيد إلى الجو الذي ينتظر ميلاد الإيمان الصحيح فيه ، هو جو العلم والحرية النبيلة والطمأنينة الشاملة وهو ما ينشره الإسلام كافة .

فقد يؤمن بعض الناس بفساد ، ويؤمن آخرون بالمواجهة ، ويؤمن البعض بانتقال الديانات من الأخلاق إلى الإسلام .

لكن المثل الأعلى الذى رسمه القرآن الكريم الإيمان هو تفكير هادئ واع فى آفاق السماء والأرض يقود المرأ وهو معلق القلب برب السموات والأرض . هذا ما تعلمناه من القرآن حين يقول تعالى : (إنَّ في خلق السَّمَوات والأرض واختِلاف اللّيل والنّهار لآيات لأُولي الألباب ❖ الذينَ يذكُرُون اللّهَ قِيَاماً وقُعُوداً وعَلَي جُنُوبِهم ويتفَكَّرُون في خَلق السَّمَوَات والأرض ❖ ربّنا ما خلَقتَ هذا بَاطِلاً

---

١ . الأنبياء : ٢١ - ٢٣ .

سُبحَانَك فقِنا عَذابَ النَّار ❖ ربَّناَ إنَّكَ مَن تَدخلِ النَّارَ فقَد أخزيَتَهُ وَمَا للظَّالِمينَ مِن أنصَارٍ ❖ ربَّنَا إنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإيمانِ أن آمِنُوا بربِّكُم فآمَنَّا ... الآية) (١).

أما التقليد المجرد ومتابعة الآباء فيما يأخذون ويتركون من الأديان السماويه والسير الفاضلة دون معرفة هدف أو تبيين طريق فهذا ليس شأن الإنسان ، فإنه حال القطعان التي تأكل وتشرب وتفترق وتلتئم على طريقة دون ما خصمٍ ، وهذا ما عابه القرآن على عُبَّاد الأصنام . (وإذا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أنزَلَ اللَّه قالُوا بل نَتَّبِعُ ما ألفَينَا عليهِ آباءنا أو لَو كَان آباؤُهُم لا يَعقِلُون شيئاً ولا يهتدُون ❖ وَمَثَلُ الذينَ كَفَرُوا كَمَثَل الذَي يَنعِقُ بِمَا لا يَسمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونِدآءً صُمٌّ بُكمٌ عُمى فَهُم لا يَعقِلُونَ) (٢) .

واجه الإسلام قديماً أقواماً من أهل الكتاب دخلوا فيه طوعاً وخرجوا منه ضراراً ، قال تعالي : (وقَالَت طآئفةٌ مِّن أهل الكتاب آمِنُوا بالذي أُنزِلَ عَلَى الذِينَ آمَنُوا وجَهَ النَّهار وأكفُرُوا آخِره لَعَلَّهُم يَرجِعُون ❖ وَلا تُؤمِنُوا إلا لِمن تبِعَ دِينَكُم قُل إنَّ الهُدَى هُدَى اللَّه أن يُوتَى أحدٌ مِثلَ ما أوتِيتُم أو يُحاجُّوكُم عِند ربكُم قُل إنَّ الفَضلَ بيَدِ اللَّه يُؤتِيهِ مَن يشاءُ واللَّهُ واسعٌ عَليمٌ) (٣) .

ومع ذلك قبل الإسلام - وهو عقيدة صافية وشريعة ضافية - أن يعيش في رحابه اليهود والنصارى يشكلون مع المسلمين مجتمعا واحدا لهم فيه ما للمسلمين وعليهم ما عليهم . إلا أن أكثرهم استغل سماحة الإسلام فأساءوا إليه، وشككوا فيه وذلك باعتناقه والخروج منه .

وفي هذا العصر يحاول كثير من أعداء الإسلام إباحة الارتداد والتنقل من دين إلى دين ، وهم لا يقصدون إلا الاحتيال على الشريعة والعبث بالعقيدة .

فقد زعموا للوثنين من قبائل جنوب النيل الأزرق أن الإسلام يحجر عنهم تلقي الثقافات والعلوم التى من شأنها أن ترفع مستواهم الثقافى والعلمى ولا تحتم

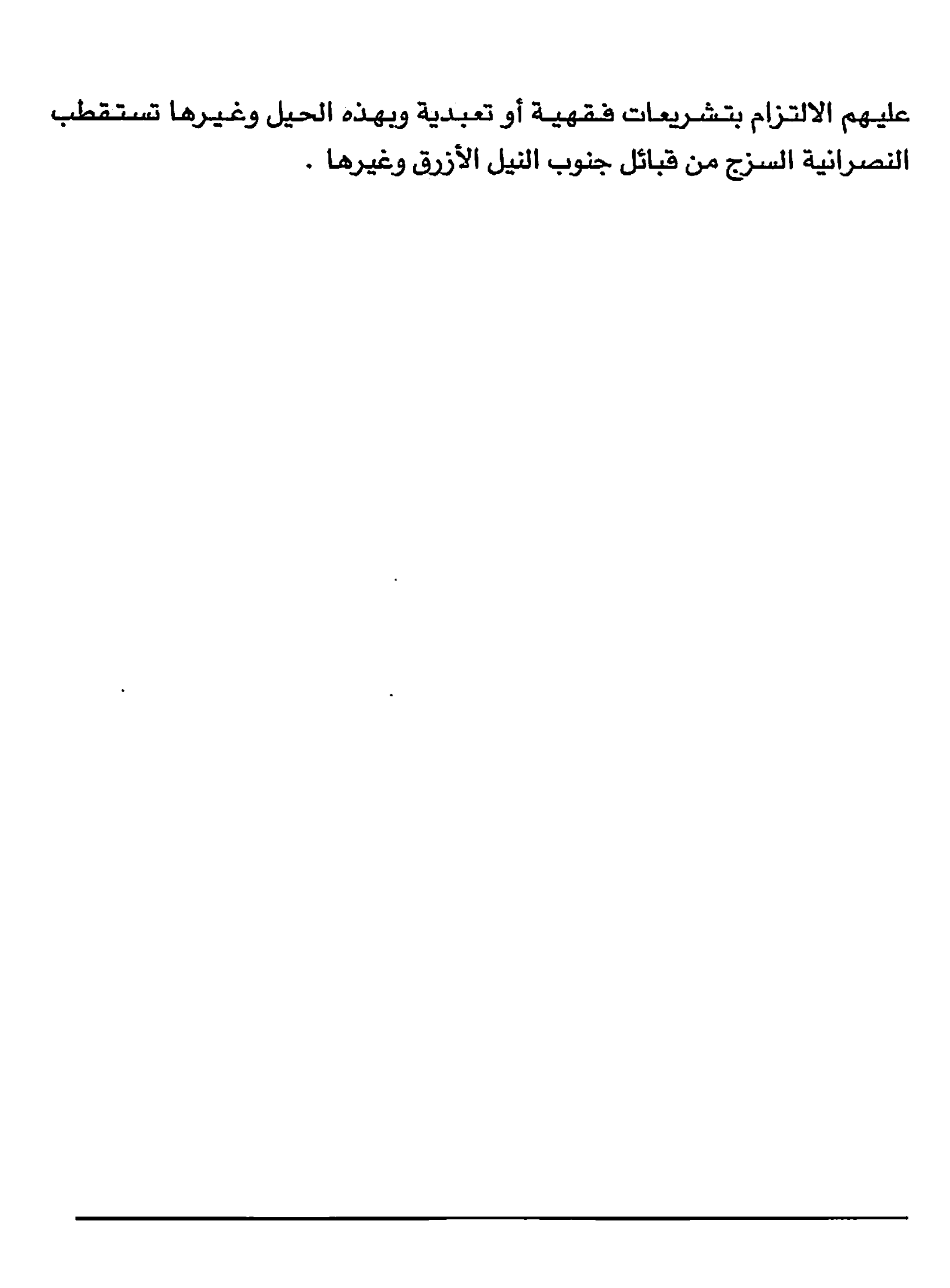
---

١ . آل عمران : ١٩٠ - ١٩٢ .

٢ . البقرة : ١٧٠ - ١٧١ .

٣ . آل عمران : ٧٢ - ٧١ .

عليهم الالتزام بتشريعات فقهية أو تعبدية وبهذه الحيل وغيرها تستقطب النصرانية السزج من قبائل جنوب النيل الأزرق وغيرها .



أهمية الموضوع
واسباب اختياره

النيل الأزرق منطقة واسعة وذات أدغال بعيدة وتذخر بالكيان البشري والاقتصادي ، وتقع على ضفاف النيل الأزرق من بداية منبعه وإلى اتجاهه نحو مصبه عبر شمال النيل الأزرق نحو مصر حتى البحر الأبيض المتوسط .

حيث امتزاج الحضارات الشرقية من لدن الأديان السماوية حتى الإسلام وتعرضت هذه المنطقة عبر التاريخ الطويل بالانتهاج المتعدد للديانات المتباعدة حيث عبد الناس الأوثان واعتمدوا الكجور .

قال تعالى : (اللّهُ وَلِيُّ الذين آمَنُوا يُخرجُهُم مِن الظُّلمَاتِ إلى النُّورِ والذِّينَ كَفَرُوا أوليَاؤُهُمُ الطاغُوتُ يُخرِجُونهُم من النُّورِ إلى الظُّلمَاتِ أُولئكَ أصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُون) .(١)

وانتقلت إليهم الديانات السماوية وانتشرت وسطهم هذه الأديان حتى أضحت السمة التنصيرية هي التي تهيمن على المنطقة .

وبدخول الإسلام خلال الفترة المواتية لقيام دولة الفونج قبل ثلاثة قرون مضت أتاحت الفرصة للتوسع الإسلامي في أدغال النيل الأزرق فكان نصرٌ من الله وفتحٌ قريب .

وقد دخل الإسلام عن طريق المتصوفة وحملة المذهب المالكي والذي يسلكه أهل الملة الوافدين إلى أرض السودان وشرق وشمال أفريقيا . ولأن السودان كان يضم حتى تخوم الحبشة وإرتيريا كل مناطق غرب أفريقيا الحالية .

(١) وضعت هذه المنطقة هدفاً لجماعات التنصير بحكم تاريخية وبحكم تقليدية التدين وانتشار الجهل بالقيم الإسلامية ، وقد تم نشر إمكانات العمل التنصيري وتطوير مؤسساته الكنسية وأساليبه التبشيرية وسط الأقليات ،

---

١ . البقرة : ٢٥٧ .

واستهداف المستضعفين من المسلمين ، في منطقة إقليم النيل الأزرق الذي يمتد من أقصى الكرمك وقيسان إلى ولاية الجزيرة .

(٢) كذلك وجود تجمع كبير من النازحين جلبتهم حوجة العمل بالتصنيع فى المناطق الصناعية أي صناعة السكر وعمالة المشاريع الزراعية بولاية النيل الأزرق ووجود تحركات المتابعة الكنسية لذلك ، والقيام ببناء الكنائس التقليدية بالمواد المحلية ، وأثر ذلك على الاختلاط بين القبائل المسيحية والقبائل المسلمة والذين يشكلون استقراراً بمنطقة واحدة .

(٣) إن التركيز على نشر الثقافات الأفريقية القديمة من كجور وشعوذة وسحر . كما في قوله تعالى : (وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكين ببَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَما يُعَلِّمَان مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إنّمَا نحنُ فِتنَةٌ فَلا تكفُر) (١) بدعوى العودة لأصول الحضارة الأفريقية كان المزاج النصراني ما قبل التاريخ المسيحي .

(٤) دحض التشوهات التي طرأت على العقيدة الإسلاميةونشر دعوة التوحيد في ربوع النيل الأزرق والتي لا يمكن لمجتمع من المجتمعات البقاء بدونها .

---

١ . البقرة : ١٠٢ .

منهج البحث

تم القيام بهذا البحث عبر منهج استقرائي من :

١ - جمع المعلومات اللازمة لموضوع البحث من المصادر المختلفة ، كتب ، مجلات ، نشرات ، مطبوعات ، مؤسسات دعوية .

٢ - الزيارات الميدانية لبعض مناطق التركيز الكنسي والمنظمات التبشيرية ومتابعة عملها وحصر أنشطتها .

٣ - القيام بتحليل هذه المعلومات وربطها ربطاً تاريخياً للاستفادة من تسلسل الأدوار عبر الحقب التاريخية المختلفة .

٤ - عمل مقابلات شخصية توضح مدى تأثير الإمكانات على مناطق النيل الأزرق ومعرفة أسباب التنصير لمعالجة انتشاره .

٥ - القيام بتحريات صحيحة للحالات المتطورة في مناطق النيل الأزرق ومعرفة أسباب التنصير لمعالجة انتشاره .

٦ - قمت بتوفير إحصاءات عن النشاط الكنسي والنشاط الدعوي الإسلامي .

٧ - السعي لإيجاد وثائق لمقارنة الوقائع التنصيرية وأهدافها وسط المجتمع المسلم بالنيل الأزرق .

رسم خرط توضح مناطق التبشير الكنسي والقبائل لمنطقة النيل الأزرق وسكان المنطقة ووعورة المسالك والطرق والجبال والوديان والخيران .

العقبات التي واجهت البحث

- هذا الموضوع متداخل ومتسع وقليل المراجع بل هي معدومة مع صعوبة البحث الميداني لوجود بعض المناطق المرتبطة بالبحث في مواقع مناوشات الخوارج.
- حداثة الدراسات في مجال التنصير بصفة خاصة حتى غابت ملامح الدراسات الدقيقة ، وتعذر تناول هذا الموضوع بكلياته فقط عبر مواقف مؤسساته الدعوية والمشاريع الاقتصادية والصناعية وضعف توجه المؤسسات التعليمية والدينية تجاه هذه المواضيع المختصة .
- وثائق عمل التنصير الحقيقية وصعوبة التوصل إليها من الجهات الرسمية وعدم وجود دراسات في هذا الإطار ، وصعوبة الدخول للكنائس ، مما يضطر الباحث تناول جوانب محدودة يتوصل من خلالها للمعلومات المطلوبة .
- أغلب العمل في هذا البحث تم استنساخه بصورة شخصية وذلك لصعوبة نقل المعلومات والإيفاء بها .
- رؤية الجهات المسئولة والإدارية المحدودة تجاه المعايشة الدينية وتقلب آرائها حول رفض عمليات التنصير تارة ، وموافقة المعايشة السلمية معه تارة أخرى، وحقوق غير المسلمين في دولة إسلامية مرة ثالثة ، وكذلك إحتياجات المتغيرات السياسية .
- عدم وجود بحوث حول تأثير التنصير على المسلمين في تلك المناطق وخطره عليهم .
- عدم وجود خطط موضوعة للمحافظة على المجتمع المسلم الذى يتعرض لهذا الزحف التنصيري .

خطة البحث

قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وعدة مطالب ومباحث ، وخاتمة اشتملت على خلاصة البحث ، والتوصيات المقترحات .

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب الاختيار وبعض الدراسات المسبقة حول الموضوع ومنهج البحث وخطة البحث التى جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول :

والذي هو بعنوان دخول النصرانية فى أفريقيا، وقد قسم إلى مبحثين وثلاث مطالب ، مهدت لهما بدخول الإسلام في أفريقيا ، ثم دخول النصرانية في البلاد الأفريقية ووضع النصرانية في شمال أفريقيا ، ثم ذكرت بعض وسائل التنصير في شمال القارة وختمت الفصل بمبحث حول إحكام الحزام التنصيري على أفريقيا .

الفصل الثاني :

مهدت له بدراسة عن المنطقة (جغرافية النيل الأزرق) ثم تحدثت فيه عن المناطق المغلقة ، والعمل التنصيري تحت غطاء العمل الخيري ، ذكرت فيه دراسة آثار اللهجات المحليةوتصنيف الأجناس والتأثير عليهم من خلال ذلك ثم تناولت كيف تمت الاستفادة من الظروف المعيشية والكوارث والحروب في استغلال الأطفال وتعميدهم .

الفصل الثالث :

وهو بعنوان الدعوة الإسلامية وقدراتها في المنطقة ، بحثت فيه دور الدعوة الإسلاميةووسائلها في المنطقة مع ذكر الرقعة المطلوب تغطيتها دعوياً، وذكرت دور سلطنة الفونج في نشر الدعوة الإسلامية وتحدثت عن الكوادر المخلصة ، وانتشار المراكز التعليمية ، وذكرت وعورة المسالك والطرق وإمكانات الكنيسة الهائلة ، وفي المبحث الثاني ذكرت العمل الدعوي في المنطقة .

الخاتمة :

وتناولت فيها خلاصة البحث والآثار والنتائج ، ثم المقترحات والتوصيات ، وختمتها بعدد من الملاحق عن الكنائس ، ثم فهارس الآيات والأحاديث والمراجع وفهرس الموضوعات .

الفصل الأول

المبحث الأول :
حركة التنصير في أفريقيا

تمهيد : دخول الإسلام في أفريقيا

المطلب الأول : دخول النصرانية في أفريقيا

المطلب الثاني : دخول النصرانية في شمال أفريقيا

المطلب الثالث : بعض وسائل النصرانية في شمال أفريقيا

المبحث الثاني :
إحكام الحزام التنصيري على أفريقيا

تمهيد : دخول الإسلام أفريقيا :

بعد بعثة رسولنا الكريم محمد ﷺ هاجر كثير من المسلمين إلى الحبشة فراراً من اضطهاد قريش لهم وذلك بناءً على توصيته ﷺ بخروجهم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه.(١)

وقد باشر المسلمون الدعوة بالحبشة لأنهم مأمورون ، وقد أسلم النجاشي الذي صلى عليه الرسول ﷺ صلاة الغائب عند موته. (٢)

كما أن مصر بالرغم من وجود الاحتلال الروماني ، وتأخر وصول دعوة الإسلام إليها وحرص الرومان على أن لا ينتشر الإسلام فيها وعلى أن تعيش القارة الأفريقية وغيرها من القارات بلا إسلام حتى يسهل عليهم استنزاف طاقاتها وخيراتها التي لا تستطيع الحياة بدونها .

تحررت مصر وأفريقيا كلها.(٣) على يد الصحابة الميامين رضوان الله عليهم .

وفي عهد الدولة الأموية كانت أفريقيا قاعدة إسلامية تنطلق منها الجيوش لنشر دين الله عز وجل، فقد عبر ت الجيوش الإسلامية الشمال الأفريقي إلى الأندلس حيث أسقطت حكم الطغاة ، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وبعد قيام الدولة العباسية في بغداد ، واستمرار حكم الأمويين للأندلس تعرض الشمال الأفريقي لأحداث سياسية أدت إلى قيام دويلات تنازع العباسيون و الأمويون الخلافة فيها . ومن أخطر هذه الدويلات دولة الشيعة ، التي زعم مؤسسها أنه ينتسب إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ ، ومع ذلك ظلت أفريقيا تفاخر بدينها وتعيش حياة كلها تدين ورخاء .

---

١ . السيرة النبوية – ابن كثير – تحقيق مصطفى عبد الواحد – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٦هـ – ص ٤ .

٢ . المصدر السابق ص ٢٩ .

٣ . أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ أفريقيا : د. جمال عبد الهادي / محمد مسعود / د. وفاء محمد رفعت – دار الوفاء للطباعة – المنصورة – الطبعة الثالثة (٤١)١٩٩١م.

المطلب الأول : دخول النصرانية في أفريقيا :

كانت تسود القارة الأفريقية قبل دخول المسيحية عبادة الأوثان ، كما كان الرق من أبشع الأعمال التي يمارسها الغربيون في القارة السوداء ، ثم تسللت النصرانية إلى القارة وانتشرت فيهاخلال القرن الثاني إلى السابع الميلادى وعمت النصرانية شمال أفريقيا من مصر إلى أقصى المغرب . (١)

فلماء جاء الفتح الإسلامى الأول في القرن السابع ، ثم الثاني في القرن الحادي عشر جرف كل آثار النصرانية هناك إلا ما كان للقبط بمصر والحبشة حتى بعد مجيء الاسلام ، عادت النصرانية مرة أخرى بواسطة جمعيات التبشير المسيحي إلى العمل بين الزنوج الفيتشن ولكنك ترى دعاتها في سواحل زنجبار ، ونواحي البحيرات الكبري وفي وادي وداي وحول بحيرة تشاد . وفي البلاد الواقعة بين منحدر النيجر منابع السنغال يتصادمون مع طبقة فاس ورجال الطرق الصوفية والأزهر الذين يأبوا النصرانية بأي وجه كان . فمنذ بداية القرن التاسع عشر اشتدت المزاحمة بين هاتين الديانتين وتسابقتا على السيادة الدينية والسياسية ، وبالرغم من انتشار المسيحية فى نهاية القرن الثاني الميلادي في ثلاثة أقطار أفريقية هي مصر والشمال الأفريقي وأثيوبيا ، ظهرت بعد ذلك بضع ممالك مسيحية في الإقليم المتاخم لأثيوبيا وقد استقرت في الشمال الأفريقي لأنها لم تتعمق في القارة الأفريقية ، إلا قليلا ولم يبق إلا الكنيسة القبطية في مصر ، كما أصبحت الكنسية الحبشية في شبه عزله ، فقد تقلصت في مصر إلا عددا قليلاً واختفت في النوبة في السودان بسبب الهجرات العربية واستعراب النوبة ، وفي الحبشة تلاشت إلا من الطبقة الحاكمة ، وفي مقابل تدهور المسيحية كان الإسلام يحرز انتشاراً عريضاً واستقطاباً واسعاً بين الأفريقيين ، وشكل دولاً

---

١ . انظر قضايا اللغة والدين في الأدب الأفريقي ، أمبابي لويسير – دار جامعة أفريقيا ١٩٩٥م – ص ١٢٣ .

ومماليك ، فقد قامت دولة الفاطميين في مصر ، والأدارسة في المغرب ، والأغالبة في تونس ، والمرابطين في المغرب العربي . (١)

ثم دخلت المسيحية فى أفريقيا في التاريخ الحديث بعد الكشوفات الجغرافية يحملها الرجل الأبيض من البرتغال إلى غرب أفريقيا وشرقها ، مرت بثلاث مراحل وتطورت عدة مرات ، وقد فشلت فشلاً ذريعاً في تنصير المسلمين في غرب أفريقيا وشرقها ، ومرحلتها الأولى منتصف القرن الخامس عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، حيث مارس التنصير المباشر في ديار المسلمين .

بعد ذهاب البرتغال ودخول مذاهب وجنسيات أخرى ، وبعد ظهور وتطورات أخرى في أوروبا الغربية ، أهمها ظهور الثورات الكبرى كالفرنسية والصناعية ، وظهور تطورات اقتصادية واجتماعية وثقافية كبرى تبعاً لذلك ، مثل حركة تحرير الرق ؛ تغير أسلوب التنصير في غرب وشرق أفريقيا ، ودخلت إنجلترا وأمريكا بمذهبهما البروتستانتي ، وكنائسها الحديثة التي بدأت تنافس روما البابوية في استقطاب المنصرين الجدد ، ورغم تغير الأسلوب حيث استعانت كنائيس إنجلترا بطبقة (الكيرول الجديدة) في غرب أفريقيا ، وهي طبقة مهجنة ثقافياً ومكونة من الأرقاء المحررين في انجلترا وأمريكا . ورغم الأسلوب المرن المنفتح الذي اتخذه القس الغي جون لويس كرايف الذي أوفدته الكنيسة الأسقفية الإنجليزية في شرق أفريقيا ، ومعه مساعديه لفنجستون وستانلي في شرق ووسط أفريقيا في بذر بذرة المسيحية وسط القبائل الوثنية في كينيا ويوغندا وبعض مناطق وسط وشرق أفريقيا .

كما أن إرسالية الكنسية التبشيرية التي ينتمي إليها رايف ، والجمعية الجغرافية الانجليزية التي ينتمي إليها لفنجستون واستانلي ، كلها قامت بجهود ضخمة في سبيل دراسة البيئة الاجتماعية والطبيعية ، إضافة لدراسة اللغات واللهجات

---

١ . الديانات التقليدية في أفريقيا : هوبير دتنيان – ترجمة أحمد الصادق .

المحلية والديانات التقليدية المختلفة ، وإضافة لدراسة الوثنية دراسة علم الأجناس للقبائل الأفريقية المختلفة في المنطقة ، كل ذلك قدم خدمة ممتازة للجهود التنصيرية الحديثة ، هيأت المناخ المناسب لفرض النصرانية بأسلوب حديث عن كل الأساليب السابقة ، ثم بدأت الهجمة الاستعمارية الشرسة على أفريقيا والعالم الإسلامي بعد أن مهد لها المبشرون الذين كانوا ينظرون جميعهم للأفريقي كمشروعٍ مشتركٍ وإن اختلفت أسبقياتهم فكان الاستعمار الأوربي الحديث حلقة من حلقات التنصير ومرحلة من مراحل الحرب الصليبية على الإسلام ، ولعل هذه الحقيقة تظهر بوضوح في استعمار فرنسا للجزائر ، حيث اعترفوا دون مواربة بهدفهم القضاء على أعداء النصرانية ويقصدون به الإسلام بلا شك . (١)

---

١ . النشاط المسيحي في أفريقيا: ورقة مقدمة للمركز الاسلامي الخرطوم ١٩٨٥م – د. عبد الرحمن احمد عثمان .

المطلب الثاني : دخول النصرانية في شمال أفريقيا :

على الرغم من وجود تجمع كنيسة صغيرة للغربيين في كل الأقطار الأربعة إلا أن مواطني شمال أفريقيا يشاركون في هذه التجمعات وفيما عدا المنصرين . فإن الأمريكيين والبريطانيين النصارى من غير شمال أفريقيا والذين يعملون في الأقطار ، نادراً ما يحاولون الدعوة للنصرانية خوفاً من أن يعرضوا وظائفهم ومصالحهم الشخصية للخطر ، إلا قليلاً من (النصارى) المصريين والباكستانيين واللبنانيين والفلسطينيين الموجودين بصورة رئيسية في ليبيا ، قد تجدد إيمانهم بالمسيح ولهذا لا يوجد لديهم إلا دوافع ضئيلة جدا لكسب أتباع من المسلمين إلى النصرانية .

لقد كان العمل التنصيري البروتستاني موجوداً منذ قرون ولكن هنالك عدد كبير من العاملين ، فمن بين الطوائف الوثنية لم يحاول إلا المتدينون الأوائل فقط وإلى حد ما أخوة بليموث إنشاء كنائس للمتنصرين من المسلمين . وحتى وقت قريب لا يوجد دليل كاف على أن الجماعات الطائفية قد بدأت مجرد التفكير ، ناهيك عن التخطيط لانشاء كنائس . إن مجرد (تبليغ الدعوة) كان يعتبر هدفاً كافياً .(١)

أما اليوم فكنيسة يسوع المسيح موجودة في شمال أفريقيا ، ولكن لا توجد كنائس منظمة بقيادة رجال من أبناء شمال أفريقيا ، في المغرب توجد سبعة مجموعات تقيم شعائرها ، ثلاثة في الجزائر ، واثنان في تونس ، وفي ليبيا مجموعة واحدة ، ويقدر عدد النصارى في المغرب بحوالي مائتي شخص يلتقون في هذه المجموعات الصغيرة ، وربما يوجد حوالي ٦٠ شخصاً في الجزائر أما في تونس فهناك حولي ١٥ شخصاً ، وعلى الرغم من أنه كان يوجد بعض المنصرين في ليبيا سابقاً ، إلا أنه « يوجد الآن شخص واحد يعلن بصراحة عن نصرانيته .(٢)

---

١. HEQQOY ١٩٦١ – ٢٧٥ – ٢٧٧

٢. GANGON GOHNSTOW TOMISN

المطلب الثالث : بعض وسائل النصرانية في شمال أفريقيا :

الوسائل التي اتخذها النصارى للتصير وسط المسلمين كثيرة ومتعددة ومتنوعة وتشمل طيفا واسعاً يكاد يعجز عن الحصر ، خاصة في الوقت الحاضر كذلك أتبع المنصرون كل وسيلة ممكنة لإبعاد المسلمين عن دينهم .

فرغم زخم المسيحية إلا أن الدول المسلمة تحررت كالجزائر عام ١٩٦٢م وشمال الصومال عام ١٩١٢م بقيادة محمد بن عبد الله الحسن . وغيرهم من الدول التي تحررت من الهجمة الاستعمارية فبدأت استراتيجية جديدة كما في شمال أفريقيا . ١ - زيادة عدد المنصرين في شمال أفريقيا .

٢ - إرسال منصرين من الذين يستطيعون أداء العمل .

٣ - البحث عن طريق الابقاء على عدد من المنصرين في الأقطار .

بحيث يتمكنون من تخصيص ثلاثين ساعة للعمل وسط المسلمين .

- تجنيد الذين لا يخافون ولا يترددون ، ويبحثون عن مواطنين من شمالي أفريقيا ، ويكشف من بينهم شخصيات من أمثال كورثليليوس (أعمال الحرب) أعمال الرسل بمعنى إيجاد أشخاص لا يسهل تخويفهم وتهديدهم بما يقوله أصدقاؤهم وأقاربهم وأسرهم بحيث ينظم العمال الأجانب .(١)

---

١ . THE GOSPAL AND ISLAND A ١٩٧٨ COM PENDIUM PAG ٣٦٤

المبحث الثاني

إحكام الحزام التنصيرى على أفريقيا

عملية التنصير في دول العالم الثالث وأفريقيا كانت تحدي يواجه الكنسية حاولت عبر واجهاتها الاستعمارية القيام به على مر العصور نسبة لمحاذاة هذه القارة للشرق الأوسط مهبط الوحي ، ومنطقة التيارات العقدية الأخرى تأثيراً لوجود الإسلام والتجمعات اليهودية ، فكان لا بد من وضع رؤى لتقبل المسيحية خلال هذه الأوساط فقد أجريت الدراسات الإحصائية الدقيقة عبر المؤسسات المسيحية خاصة أعضاء (كلين فولر) الإرسالية لتنصير العالم ، وكانت هذه البحوث دراسات يقدمها المنصرون من تلك الكلية ، كإضافة دقيقة لغزو القارة السوداء ، وجادت الدراسات في إطار دراسة جنوب الصحراء كمنطقة نفوذ إسلامي كبير . وجاءت الدراسة حول تقييم: (١)

(أ) نظرة للإحصائيات :

أولاً : الذين لم يتم تنصيرهم هم حوالي ٧٠ إلى ٨٠ مليون وهذا يأخذ الاعتبار الواسع لجهاز الراديو وأنماط الهجرة النصرانية إلى المدن ووجود الجماعات الدينية الحرة والأرثوزكثية في كثير من المناطق . كما قدمها (ويفيد بادين) في كتابه المقدس شعوب المناطق الحدودية . (٢)

وتم تقسيم المناطق إلى ثلاث فئات :

١ - دول نسبة المسلمين فيها ٧٠٪ مثل جذر القمر ، كامبيا ، غينيا ، مالي ، النيجر ، السنغال ، الصومال .

٢ - دول تتراوح نسبة المسلمين فيها ٣٥ ٪ - ٧٠ ٪ مثل تشاد - السودان - أثيوبيا- نيجيريا - فولتا العليا .

٣ - الدول الأخرى حيث تقل النسبة عن ٣٥ ٪ (٣)

---

1. Beave r : ١٩٧٣ - ٢٣٨ - ٢٤١٠

2 . Barrett ١٩٧٣ Mare.

3 . Operation .

وهذا يعنى أن ١٤ من ٣٨ دولة تخضع لتأثير الإسلام بشكل كبير وأن للإسلام إمكانية واضحة للامتداد والتوسع في هذه المناطق كلها بالطبع عدا المناطق التي وصلت نسبة الإسلام فيها بالفعل ١٠٠٪ مثل الصومال وجذر القمر وجيبوتي ، هكذا بدت الخطط التنصيرية لترحيل الشعوب وتهجيرها وتغريبها عن دينها .

أما نسبة المسلمين الذين بلغتهم المسيحية والنصرانية في وسط وجنوب أفريقيا من الذين فهموا الكتاب المقدس وعملوا به كالآتي :

أ - في نيجريا ويوغندا ٥٠٪ ولكن المعدل كان أقل من ٢٥٪

ب - في يوغندا الذين فهموه ١٥٪ ولكن المعدل يتراوح ما بين ١٪ إلى ٥ ٪

يلاحظ أنه يوجد فى أفريقيا ٢١٣ قبيلة بعضها أسلم تماماً والآخر أسلم غالباً وهم بنسبة ٧٥٪ ، ويمر الخط الإسلامي في أفريقيا على امتداد ما يقرب ١٠٠ - ٢٠٠ ميلاً جنوب الصحراء الغربية وتوجد ٢٠٥ قبيلة شمال هذا الخط وتوجد قبائل لا يمثل الإسلام فيها الغالبية ولكنها متأثرة به وقد ظل الخط الإسلامي يتقدم منذ عام ١٩٥٠م وهنالك مؤثرات على عمل الكنيسة في المجتمعات التي أسلمت .

مثل قبائل الماكيوندي المتمسكة بدينها منذ ١٩١٠ - ١٩٢٠م واتخذوا أسماءً إسلامية وعاداتهم وتقاليدهم وهم يحتفلون بالأعياد الإسلامية ويصلون الجمعة (مسلمون تقليديون) لكنهم مؤثرين على القبائل . (المتاخمة) (١) وهى قبائل موزمبيق بالرغم من استهداف التنصير لهم وتعدادهم (٥٥٠,٠٠٠) ٩٠٪ منهم مسلمون .

والخطورة أن تنصيرهم يكون تقليدي يحاول التعرف أكثر ، فما كان على فهم القبيلة في الإسلام .

٤- قبائل التوب جنوب نيجريا (٥,٨٧٠,٠٠٠) حيث يشكلون قوة إسلامية كبيرة

1. Winter : ١٩٧٧ - ٢٥

وقد بدأت جمعية التنصير الكنسية عملاً منتظماً في صفوفهم وفي عام ١٩٠١م نجحت المحاولة لإرسالية السودان الداخلية في تكوين مركز الإرسالية النوبيين وبعد ثلاثة أو أربع أعوام أخرى ، انضمت إلى العمل إرسالية أخرى هي إرسالية جمعية التنصير المتحدة ، وقد ظلت قبائل النوبة لمدة طويلة إسلامية بنسبة ٨٨٪ ورغم العمل المكثف من جانب جمعية التنصير الكنسية في مجال التعليم ، فإن ذلك لم ينتج عنه إلا عدداً قليلاً من النصارى النوبيين فقط .

تشير دراسة أجراها (جير الدسكوانك) عام ١٩٧٠م إلى وجود ١,٥٠٠ نوبي نصراني ينتمون إلى الكنيسة ومع ذلك فإن ٥٠٪ منهم في هذه الأيام لا يعرفون معنى الكتاب المقدس .

هاتان الدراستان توضحان الصعوبة التي تواجه الكنيسة النصرانيةفي التغلغل في المجتمع الإسلامي .(١)

يقدم لنا باريب خلاصة موجزة لوضع الإسلام والنصرانية في أفريقيا منتصف عام ١٩٧٢ م.(٢)

❖ جـــدول السكـــان بالملايـــين .

أنواع القبائل	القبائل	القبائل داخل الدول	المجموع	المنصرين منهم	غير المتنصرين
مسلمين أوتمت أسلمتهم	٢١٣	٢٧٠	١٤٠	٥٧	٨٣
متنصرين مسيحين	٤١١	٢١٢	١٨٠	١٦٢	١٨
غير متنصرين	٢٣٦	٢٦٣	٤٧	١٨	٢٩
المجموع	٨٦٠	١٠٤٥	٣٦٧	٢٣٧ ٪٦٥	١٣٠ ٪٣٥

1. Beaver ١٩٧٣ =- ٢٤٨ - ٢٤٩
2 . Status. Of Obristinity contry profiles ١٩٧٤ morrovia, mission advanced research and communication, center.

وانظر التنصير خطة لغزو العالم الاسلامي - أستاذ . محمد شريف الزيبق - جامعة المدينة طبعة ١٩٧٢م .

هذه الدراسة تعطي نموذجا لما سيكون عليه الأمر في المستقبل بالنسبة للعديد من الشعوب التقليدية في أفريقيا حيث تتزايد ضغوط الحياة الحديثة ، وضغوط مجتمعاتهم إلى درجة لا يمكن مقاومتها . لقد هبت روح التغيير منذ فترة طويلة وأصبح أتباع الديانات الأفريقية التقليدية البالغ عددهم (٢٩) مليون يبحثون عن عقيدة جديدة والسؤال هو أي العقيدتين الإسلام أم النصرانية ؟!!.

فشلت محاولات التنصير في مديرية (منقلا) فقد كان مصير المدرسة التي أنشئت عام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م بموجب التعويضات التي عرفت باسم (السيرلي استاك) والتي سميت بمدرسة (السرلي استاك) التذكارية ، والتي كان المعتقد أن تكون أول مؤسسة تعليمية حكومية في الجنوب على قرار كلية غردون التذكارية في الشمال ، لكنها وجدت معارضة شديدة من المبشرين في إشتراك الحكومة المباشر في التعليم ، مما اضطر الحكومة إلى إغلاقها وتسليمها إلى الروم الكاثوليك عام ١٣٤٦ هـ- ١٩٢٧م وبذلك تكون هذه السياسة الاجتماعية والاقتصادية التي عانت ، وما زالت تعاني منها البلاد ، والتي لا تزال رواسبها النفسية جارية تطل برأسها من آن لآخر بالرغم من التغيير الكبير الذي طرأ على الحياة في مختلف جوانبها في تلك الأجزا ء من السودان (١).

---

١ . جنوب السودان - دراسة اسباب النزاع - د. محمد بشير - ترجمة أسعد حليم - الهيئة المصرية للتاليف والنشر - ١٩٧١ - ص ٧٣ .

الفصل الثاني

التنصير وسائله وأساليبه في النيل الأزرق

تمهيد : دراسة المنطقة (جغرافية النيل الأزرق)

المبحث الأول : مفاهيم التركيز على المناطق المختلفة والرؤية التنصيرية منذ الاستعمار

المبحث الثاني : التدثر بالأعمال الخيرية والإنسانية وبث التنصير من خلالها

المبحث الثالث : دراسة اللهجات المحلية

تمهيد دراسة المنطقة (جغرافية النيل الأزرق)

تقع منطقة جنوب النيل الأزرق شمال خط الاستواء موازية جنوباً لأديس أبابا، أثيوبيا وشرقاً توازي جنوب شرق إرتريا وتوازي غرباً أواسط السودان . (١) والأجزاء الشرقية للمنطقة الممتدة من الدندر شمالاً إلى يابوس في أعالي النيل جنوباً تكوّن الجانب الغربي من الهضبة الأثيوبية وهي عبارة عن سلاسل يزيد طولها على خمسمائة متر فوق مستوى سطح البحر ، تنحدر هذه المرتفعات تدريجياً في الغرب وتنتهي بسهول في أواسط السودان .

تتخلل هذه الجبال شبكة من الخيران العميقة ، والوديان الواسعة ، تُكوّن مرتفعات لكرمك الكيلي شنقول ، دندروا ، والأنقسنا ، وخط تقسيم المياه الذي يفصل الخيران المتهجة نحو النيل الأزرق ، خور أفد وخور تمت ، وخور أحمر ، وخور أبو سيفين وخور أبو تقروا ، وتقوم على ضفاف هذه الخيران عدد كبير من القرى وتستخدم أحواضها المشبعة بالمياه السطحية في إقامة الجنائن للفواكه على طول امتدادها وتتواجدأعداد كبيرة من الماشية والضأن في فترة الصيف وكذلك الحال في باقي الخيران . (٢)

يقع وادي جرط بين مرتفعات الحبشة وجبال الكرمك وأدار ، مكوناً مثلثاً رأسه في شالي ، ويتخلل هذا الوادي الخصب عدة خيران ، حيث يلتقي خور يابوس وخور أرو ليكون خور أبو سيفين ، ويمكن الاستفادة من المياه في هذا الوادي في البستنة وزراعة البقوليات والخضراوات بالإضافة إلى أنه مركز تجمع للعرب الرحل . (٣)

وهناك نهر يابوس الذي يندفع من مرتفعات الحبشة إلى داخل السودان على الحدود الجنوبية للنيل الأزرق حيث يُكوّن واديا خصيبا في مناطق يابوس الغابة

---

١ . موسوعة تاريخ العالم – السودان وأفريقيا – الجزء السابع ص ٢٨٦٤ – أنظر الخريطة .

٢ . الزبير أحمد جميل – باحث عام – في جنوب النيل الأزرق – المشروع الأمريكى .

٣ . منظمة الدعوة الإسلامية .

وبلاتوما وسنجة والفونج وينتهي بدلتا واسعة بأعالي النيل قبل أن يصل نهر السوباط ، وهذا السهل تغمر مياهه الفيضانات والأنهار في فصل الخريف . ويصبح مرعى غني في فترة الصيف . لأعداد كبيرة من القطعان ، ويمكن أن يستثمر في زراعة الذرة الشامية والبقوليات والبن ، والشاي والأنناس وفواكه المناطق المشابهة وذلك بتوفير المدخلات الزراعية .

وهنالك منطقة جبل النوم التي يعتبر أكثر المناطق كثافة بالسكان وهي سهل كبير يقع في شرق جبال الكدالو بها نفس الخصائص السابقة . وهي مصدر لمياه الشرب والبستنة. وأخيراً حوض النيل الأزرق الذي يعتبر أكثر المناطق كثافة بالسكان ونشاطاً اقتصادياً حيث حوض خزان الرصيرص والذي يمتد إلى مساحة مقدارها ٧٥٪ كيلو متر تغمره مياه التخزين .

المبحـــث الأول :
مفاهيم التركيز على المناطق المغلقة والرؤيـة التنصيرية منذ الاستعمار

رغم أن هنالك اتفـاقـيـة مـبـرمـة بين مـصـر وبريطانيـا لإدارة السـودان فيمـا عـرف بالحكم الثنائي ، إلا أن مـقـاليـد الأمـور في السـودان كـانت تدار مـن وراء ظهـر الحكومـة حينـاً ، وأحيانـاً أخرى نجـد الحكومـة المصرية مـحكومـة بلوائح ودسـاتيـر الاتفـاقـيـة الثنائيـة التي أحكم البـريطانيـون تفـصيلهـا وصـيـاغـتـهـا وتنفـيـذهـا (١) وبالتالي فنحن عـنـدمـا نتحـدث عن هذا الاسـتـعـمـار والغزو الفكري في هذه الفـتـرة فـإنما نعني الاسـتـعـمـار البـريطاني لأن إدارة السـودان كـانت خـالـصـة لهم دون الحكومـة المصـرية . لقد وضـع المستعـمـر نـصب عينيـه تصـفيـة الوجـود الإسـلامي العربي في السـودان وكان يدرك بالمؤتمرات الثـقـافـيـة والتعليـميـة ماله تـأثيـر فعلي على الشعوب ولذلك طرق الإسـلام العربي في شمال القارة الأفـريقـيـة تحت ستار تجـارة الرقـيق وانطلاقـاً مـن هذا المفـهـوم شـهـد السـودان بداية الحكم الثـنائي مـيلاداً لنظام تعليمي جديد هو عـبـارة عـن خلاصـة التجـارب التعليـمـيـة في الهند ومصر. (٢) وضعه وخـطط له اللورد كرومـر وكتشنر وونجت ودانلوب حكام وقـادة الفـتـح الاسـتـعـمـاري في السـودان ووضـع أهـدافـه ، وقـام بتنفـيـذه (جـمـيس كـري) الذي عين وزيراً للمـعـارف في السـودان (١٣١٨ هـ - ١٣٣٣هـ) (١٩٠٠ - ١٩١٤) وقـام بجـهـد كـبيـر في التـعليم العـام وتتلـخص أغـراض التعليم وأهـدافـه في هذه الفترة في الآتي :

- أهداف ظاهرية معلنة .
- أهداف حقيقية خفية .

---

١ . أنظر بنود الاتفاقية جمهورية مصرالعربية رئاسة الوزراء السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١ الى ١٩٥٣ - القاهرة - مطبعة الأميرية ٢١٩٣٥ المواد : ٣ ، ٤ ، ٥ من اتفاقية ١٨٩٩م ص ٦ ، ٧ .

٢ . أ.ل. فسر تاريخ اوربا الحديث ص ٧٢٦ - ١٩٥٠ - ترجمة أحمد نجيب - الطبعة السابعة دار المعارف ١٩٧٦م - ص ٢٤٠ .

أما الأهداف الظاهرية فقد أشار اللورد كتشنر إلى بعض الخطوط السياسية لهذه السياسة التعليمية الصورية ، حيث حدد في خطابه للشعب البريطاني نوعية التعليم الذي يريده للسودانيين ، ومن يراد تعليمهم من أبنائه ، والخطة التي سوف تتبع لتنفيذ ذلك حيث قال : « وإن تسألوني عن نوع التعليم الذي أريده وعن الشخص الذي يجب أن يتعلمه ، أقول إن خطتنا يجب أن تبني تدريجياً ، وأن نبدأ الآن بتعليم أبناء زعماء ورؤساء الأقاليم ، ومشايخ القرى والأعيان ، لأن هؤلاء ينتمون إلى جنس يتوفر فيه الاستعداد العظيم للتعليم والمقدرة على الإفادة منه ويجب أن يحصر التعليم في مراحله الأولى في المواد الأولية كالقراءة والكتابة والجغرافيةواللغة الإنجليزية ، ثم يأتي الطور الثاني بعد أن ترتكز هذه المرحلة ، فيوضع منهج أرفع يدخل فيه التعليم الصناعي بمايتناسب ووصايات الجزء الأعلى من وادي النيل وسيكون كبار المدرسين بالكلية من البريطانيين ، ويكون الإشراف على جميع الاختصاصات للحاكم العام

وتلخص الأهداف الظاهرية في الآتي :

أ . إعداد طبقة من الصناع المهر ة بالقدر الذي يفهمون به إدارة آلة الصناعة وتدريب الكتبة الذين يلتحقون بالوظائف الصغيرة .

ب. نشر قدر من التعليم بين سواد الشعب يمكنهم من فهم الأسس التي تقوم عليها الإدارة الحكومية خاصة فيما يتعلق بالمساواة ووحدة القضاء .

ج. إيجاد طائفة من الإداريين من أبناء البلد لملأ الوظائف الصغرى في الحكومة.

د. نشر دعوة المسيح في المجتمعات التي تسمح بها .

هـ. قبول المرتدين من الأديان الأخرى ، ونشر الحضارة والمباديء الخلقية وإعانة المحتاج وعلاج المريض وتعليم الجاهل ... الخ . (١) وهذان الهدفان المعلنان(د.هـ)

---

١ . دمبرز : تطور التعليم في السودان ص ٧٢ .

يخصان جنوب ومناطق جبال النوبة وحدها .(١) الأهداف الثلاثة (أ . ب . ج) المعلنة فهي تخص الجزء الشمالي من السودان وهي في مجموعها إذا تأملناها وفحصناها في الواقع نجد أنها تهدف إلى ضرب التعليم الذي كان قائما في البلاد ، ومحاربة الثقافة الإسلامية واللغة العربية ونلخص ذلك فيما يلي :

١ - ربط الإدارة البريطانية بالتعليم بحاجة الجهاز الإداري الاستعماري لمجموعات من الكتبة والمهنيين الذين تسند إليهم الأمور الدنيا في ذلك الجهاز

٢ - أما الوظائف الكبرى فهي بلا شك للإنجليز . وهذا الربط في تقديرنا ما هو إلا ذريعة لكي تتحاشى الحكومة الصرف على أي احتياج تعليم لا يلبي طلباتها وحاجتها لأنه لا يُخَرِّج النوعية المطلوبة من الأفراد والأشخاص الذين تريدهم الدولة ، مما يدل على سوء نية المستعمر والدليل على ذلك أن السياسة التعليمية قد تجاوزت أهدافها المطلوبة .

فتخلفت نخبةمن السياسيين المثقفين المعجبين بالأكار والمفاهيم الغربية الذين يرون ما هو صالح للإنجليز لا بد أن يكون صالحاً ومفيداً لغيرهما أيضا ويوجهون للدولة الحاكمة تحدياً يستند إلى مبادىء ومعتقدات الإنجليز في الحرية والتقدم

فحاصرت التعليم الديني في طريق إدخال مواد علمية دون مراعاة للمنهج الموجود . أو تعديله لبعض الثمرة الموجودة ويتمشى مع متطلبات المسلمين وكان من رأي كرومر أن تلطف دراسة بتدريس مواد علمانية وبالتالي فقد رفض جيمس كري التعليم آنذاك افتراضاً بتخصيص إعانة مالية لخلاوي القرآن الكريم التي زادت الأعباء المالية وعانت تطور القطاع التعليمي الحديث المقترح في البلاد .(٢)

---

١ . امير الصاوي وجعفر محمد علي بخيت مشاكل التبشير المسيحي بالسودان « الخرطوم جمهورية السودان» وزارة الداخلية رقم ١٩٥٣م - طبع مصلحة المساحة السودانية ١٣ - ١٤ .

٢ . د. محمد عمر بشير : تطور تعليم السودان - ص ٧٢ .

ولقد لخص (جرجس سلامة) هذه السياسة التعليمية ، في أن المستعمر قد اتبع فلسفة تعليمية رجعية مبنية على استمرار الازدواج في نظم التعليم بقصد إحداث تميز طبقي ،والتفرقة بين القادرين وغير القادرين ، وتعيين الفروق بينهم والاستمرار في سياسية اعتبار الغاية من التعليم هي الإعداد الوظيفي ، وكان من نتيجة تلك السياسة أن قوي الميل إلى العمل الحكومي في نفوس خريجي المدراس الحديثة حتى أصبح التعليم في نظرهم مجرد وسيلة للحصول على الدراسات التي تؤهلهم للوظائف . (١)

كانت المرحلة التالية للتعليم على النظام الحديث ، عندما اتجهت سياسة التعليم اتجاها خطيرا في عام ١٣٤٤ - ١٩٢٥ م . حيث قضت تلك الإدارة بأن تكون اللغة الإنجليزية لغة التعامل وحيث ارتبطت الشهادات بالشهادات البريطانية - كما سيأتي- التي ما زالت بعض الجاليات وبعض المدارس التبشيرية مرتبطة بها وما فتئت الحكومات المتعاقبة معترفة بها إلى يومنا هذا .

وهذا حقل السياسات الصورية وفي حقل التعليم أما ما خفي من السياسات والأهداف التعليميةفثبتها من خلال القراءة الثانية لنتائج تلك السياسة الظاهرة المعلنة ومن خلال الواقع الممارس في سائر أركان التعليم المنهجي في الخطة الدراسية والمناهج والكتب والمدرسين والبيئة التعليمية وتصرفات الأجهزة الإدارية والتوجيهية ، وأنواع الأنشطة التابعة للعملية التوجيهية وأنواع الأنشطة التابعة للعملية التعليمية نلخصها في الآتي :

١- تطوير تقدم الجنوب في اتجاه مدابر الشمال .

٢- منع الإسلام من النفوذ إلى الجنوب

٣- تذكير الجنوبيين بتاريخ النخاسة ودور العرب المسلمين الشماليين فيه وتجسيم مظاهره بصورة مثيرة للبغضاء .

---

١ . جرجس سلامة : اثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر - الطبعة الأولى - مكتبة الانجليز المصرية ١٩٦٦ ص ٨٥ / ٨٧ .

٤- توسيع شقة النفوذ بين المواطنين الشماليين والجنوبين وعدم المساعدة في إحلال روح التفاهم بينهم بوضع مناهج وأساليب علمية مختلفة .

٥- التعاون مع الحكومة في تنفيذ سياسة دعت إلى تقسيم القطر وتطويره في اتجاهين متضادين.

٦- محاولة إيجاد كيان قومي مستقل ذو طابع مسيحي لعناصر من السودانيين ، والمطالبة بمعاملة خاصة ، كتلك التي تقضي للأقليات ، وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف غير المعلنة أطلقت الإدارة البريطانية يد الهيئات التبشيرية والمسيحية في جنوب السودان وجبال النوبة وترك أمرالتعليم لها حتى استفحل أمرها.

المبحث الثاني :

التدثر بالأعمال الخيرية والإنسانية

وبث التنصير من خلالها

أولاً : الخدمات الصحية والاجتماعية:

الأهداف الأساسية للخدمات الاجتماعية التي تقدمها الإرساليات والكنائس تتلخص في :

- الدعوة الإيجابية لاعتناق المسيحية في أوساط من لايؤمنون بها ونشر الثقافة المسيحية ومبادئها ، واحتضان المرتدين من الديانات الأخرى وذلك عن طريق إعانة المحتاج وعلاج المريض والتعليم القومي والترفيه لمن يحتاج لذلك .

- نظرة المسلمين للتبشير المسيحي باعتباره يؤدي خدمة هامة وضرورية للمجتمع خصوصاً بأن قيام الإرساليات للخدمات الاجتماعية شجع الحكومة في إهمال مسئوليتها في هذا المجال خاصة في مناطق التخلف حيث تشتد الحاجة لمثل هذه الخدمات مما فتح الباب أمام الكنيسة للتغلغل.

ثانياً : تكثيف الخدمات الاجتماعية :

بدأ عمل الإرساليات المكثف في هذا المجال في شمال السودان بصفة خاصة عند إعلان نهاية الحكم الثنائي ورفع القيود عن الهجرة لأبناء الجنوب والنوبة الذين وفدوا للمدن الشمالية للعمل بالحرف غير الفنية كعمل اليومية والخدمة في المصانع والمتاجر والمنازل ولقد كانت هجرة أبناء هذه المناطق تتم بأعداد كبيرة وقد بلغ عدد الجنوبيين الموجودين بالشمال عام ١٩٥٦م ثلاثة مائة وإحدى عشر ألفاً (٣١١) ألف . (١) وسارعت المؤسسات التبشيرية لاستغلال الظروف التي يعمل في نطاقها هؤلاء البسطاء والاستفادة منها فنظمت لهم الندوات والدروس الليلية وأقامت لهم أندية اجتماعية وفرق تمثيلية وغيرها دون علم

---

١ . مقابلة ميدانية مع المهندس ابراهيم محمد توم مدير مشروع أبو قمى ومركز تنمية المرأة الريفية بالروصيرص .

الأجهزة الحكومية واختارت أن تكون صلتها بالوافدين الجدد عن طريق بعض أهليهم وذويهم ممن تنصروا وأقنعتهم أن يتحدوا مع الكنيسة كما وفرت لهم الجو الاجتماعي الذي يعين على تماسكهم وتمييزهم في مواجهة المجتمع الجديد، وكثيراً ما يحدث أن يجد القادم الجديد من أبناء الجنوب مندوباً من الكنسية في انتظار القطار ، ليأخذ من يرغب منهم إلى منزل ضيافة الكنيسة ، ومن هنا يبدأ التعرف على الدين ، وبدلاً من أن تؤدي الهجرة إلى الشمال إلى تقوية العلاقات بين الشمال والجنوب صارت تؤدى بسبب نشاط الكنيسة وسط الجنوبيين وأبناء النوبة إلى تعميق الشعور بالاختلاف والتمييز بل والعداء للمسلمين من الشمال .

قد تنوعت أساليب الإرساليات للوصول إلى قلوب المواطنين من البسطاء والضعفاء ولعل أهم هذه الأساليب ما يلي :

١- العمل في المجال الصحي وذلك بإقامة المستوصفات خصوصاً في مناطق الحاجة بالإضافة لشراء إحتياجات الدواء وزيارة المرضى (١)

٢- إقامة مراسيم الزيجات للوافدين والعمال الموسميين وأبناء المناطق المتخلفة في الكنائس .

٣- تسمية الأطفال بأسماء نصرانية .

٤- تنظيم الفرق الرياضية والترفيهية على مستوى المسيحيين من الطبقة الراقية كفريق كرة السلة وعلى مستويات السكان المحلين ومناطق الأطراف .

٥-الزيارة والطواف على سكان من مناطق الأطرف ، والمناطق العشوائية ، وتوزيع الغذاءات كالسكر واللبن للأطفال وتقديم إعانات للمحتاجين والمعوقين .

٦- أقامة مهرجانات فى أعياد الميلاد وغيرها وإرسال كروت عيد الميلاد لمن يودون استمالته .

---

١ . التبشير المسيحى في العاصمة القومية - د. حسن مكى - اصدار بيت المعرفة عام ١٩٩٠م ص ١٠ .

٧- خلق صداقات بين المسحيين .

٨- دفن الموتى على طريقة الكنيسة في مقابر خاصة بالمسيحيين ، وتوجد عدة مقابر للمسحيين بالعاصمة . وقد تم التصديق لهم منذ وقت قريب بمقبرة إضافية مساحتها ١٦٠,٠٠٠ متر مربع جنوب المركز الإسلامي الأفريقي .

٩- توزيع الغذاء والبطاطين على المسجونين وتوزيع الحلوى والصلبان عليهم فى أيام الأحد والأربعاء والأعياد حتى يتم خلق الإحساس عندهم بأن الكنيسة هي التي تعمل من أجلهم وأنهم ينتمون إليها .

١٠- تخصيص أماكن في الكنائس لاستقبال الغرباء الوافدين حيث يستقر بهم المقام الأمر الذي يترك أثرا عميقا في نفس الغريب الوافد .

١١- الاهتمام باللاجئين عن طريق وكالات الإغاثة المتخصصة والتي تستفيد من الإعفاءات الجمركية في تقديم الخدمات بتكاليف زهيدة ، وكثيراً ما تقدم الإعانات الدولية للاجئين بواسطة هيئات تبشيرية.

١٢- تنظيم حلقات محو الأمية والإرشاد الديني في المواقع كالمنزل والنادي والديوان .... الخ .

١٣- العناية بالأطفال ، خاصة اللقطاء أو تبني القساوسة وتعليمهم مما يؤدي إلى سيطرة الكنيسة على مستقبلهم منذ وقت مبكر .

١٤- إقامة جمعيات تعاونية وطواحنين وآبار مياه وغيرها ، ومشاريع اجتماعية وتربوية.

١٥- المشاركة في توجيه نشاط الجاليات المسيحية وتسخيرها للتبشير بخلق جمعيات لهذا الغرض واستفادة أبناء الجنوب من الإجازات الإضافية غير يوم الأحد بل أن بعض العاملين بالحكومة يتعمد اعتناق المسيحية من أجل الإجازة ويعتبر المسيحيون إعلان يوم الأحد كإجازة إنجازاً سياسياً واجتماعياً حققته لهم الكنيسة . (١)

---

١ . المصدر السابق ص ٣٢ .

ثالثا : تمويل النشاط الاجتماعي

تتخذ الكنيسة المنازل وبيوت العبادة والمدارس لتسيير هذا النشاط في الأحياء بالمدن والقرى ومناطق التنقل الموسمي ومناطق الصناعة ، كمناطق السكر، كما في شركة سكر سنار بالمدينة السكنية ، والكنابي المتحركة مع الحصار ومناطق ٦٤ العمرية وقرية الهدى والحلة الجديدة والاتجاه الجنوبي لـ ٥٦ كجهات يتركز فيها أبناء الجنوبيين مما يسهل ملاحقتهم في كل مناطق العمل وتقديم المساعدات والدراسات الدينية عبر قساوسة متخصصين من المدن التقريبية ومن مركزية العمل الكنسي بصورة مباشرة . والخلاصة في النشاط الخطي المتكرر في كل مناطق الإنتاج والعمل سواء في اتجاه الزراعة المروية أو المطرية ، ودائما ترصد له إمكانيات ضخمة ترتبط بالكنيسة وتقبل النصرانية في النهاية وأمل الكنيسة أن يكون هؤلاء جسرا لعبور الجيل الجديد للمسيحية كما تستغلهم كأدوات للضغط السياسي وهي بعملها هذا تحول بينهم وبين التفاعل مع قطاعات المجتمع السوداني والانصهار في بوتقة القومية السودانية الجامعة خاصة . والكنيسية تهتم برعاية مصلحتها ونفوذها قبل مصالح أتباعها أو مصالح البلاد بصورة عامة .

عمدت الكنسية في السنوات الأخيرة إلى القيام بنشاط ضخم في مجال التبشير وتوزيع المطبوعات وإقامة معارض الكتب المسيحية في الجامعات وعلى البواخر التي تقوم برحلات نيلية مجانية ترفيهية . وإقامة مكتبات في ولايات السودان المختلفة .(١)

كما عمدت إلى تجنيد أعداد كبيرة من أبناء المناطق المتخلفة وطباعة كتب في المدن الكبرى ، وتوزيع هذه الكتب غالبا بالمجان أو بأسعار رمزية على الأسر

---

١ .مقابلة مع المفتش الزراعى محمد عمر عبد المجيد مهتم بعمل الدعوة بمنطقة ٦٤ – كمبو الخرطوم ، وكنابي الحصاد – مصنع سكر سنار بتاريخ ١٥ / ٨ / ٢٠٠٠م.

والأطفال في مناطق الأطرف والأحياء الشعبية ، وهي نماذج من الكتب فمنها أدب الأطفال القصص وقصص الأنبياء ، كما وردت في أناجيلهم بالإضافة للكتب الفكرية التي تحارب الإسلام في عقائده وتسب النبي وتشكك في الدين الإسلامي وتثير الشبهات حول موقفه من الأعداء والرق وقد وجدت منها مئات الآلاف من الكتب . والغريب في الأمر أن تلك الدور التي أغلقتها سلطات الأمن وهي دور الشعبية المسيحية كانت تعمل لسنوات دون تصديق من أي جهة في الدولة وظل يديرها عدد من الشباب الألمان .

إن الجو الاجتماعي الذي توفره الكنائس ، حيث تفتح لهم مجال اللقاء والتعاون وتبادل أخبار الأهل مما يشعرهم بنوع من الاتحاد في وجه الضياع الذي تمثله المدينة الكبيرة في حدود الأسرة والوراثة . ثم الشعور العميق الذي تقوم به الكنيسة بأن الشماليين يعاملونهم بقدر من الاحتقار وأن الإسلام دين العرب وأن المسلمين يعاملونهم كمصدر للعمالة ، وفي مهن وضيعة وبأجور زهيدة ومتدنية ، إلا أن المرء يلاحظ أن معرفة المتنصرين الجدد بالمسيحية محدودة للغاية ، ومع ذلك فإن الارتباط بالكنيسة بالنسبة لهؤلاء يشكل عنصراً هاماً في حياتهم نسبة لما يجدوه فيها من رعاية . مأوى « وتعليم بينما الذي يدخل الإسلام لا يجد هذه الرعاية ».

تراعي الكنيسة في مطبوعاتها الجودة والإخراج والإيجاز وبساطة الأفكار وصغر الحجم مع تكثيف الصور والألوان وعموماً تكون مادتها حول فكرة محوريةواحدةوهى أن لاخلاص إلا بالمسيح ولا نجاة إلا بالمسيحية . كما تراعي في كتب الأطفال ألا تزيد عن أربع صفحات فقط كيسوع «يبارك الأطفال» و «يسوع يسكن العاصفة». وهنالك كتب تعالج القضايا التي يرد ذكرها وتعالج كيفية الحوار مع المسلمين وكتب تعالج القضايا التي يرد ذكرها في القرآن الكريم كتحريف الكتب السابقة والنسخ وشخصية المسيح في الإنجيل والقرآن الكريم وفيها اشتشهادت ببعض الأقوال الشاذة مثل كتاب « ميزان الحق» الذي

يظهر نفسه وكأنه يعرف كثير مما كتب عن الإسلام ويلوي الحقائق بطريقة خاصة . ❖

وهنالك سلسلة الكتب التي تعني بالقديسين والأباء والإخوان وتصورهم كقوة صالحة للمجتمع البشري بهدف كسب أفئدة المسلمين واستنفار المسيحيين في دروب التنصر حتى يكونوا دعاة للمسيحية ويخلصوا لها كما أخلص لها هؤلاء .

السودان وطن ذو أبعاد وهو أحد البلدان القليلة التي أصبحت لها شخصيتها بالرغم من عوائق كثيرة ووجود قبائل تحت ظل الأمية والتخلف في جبال النوبة وجنوب النيل الأزرق خاصة ، وأن هذه القبائل والمناطق تسودها العشائرية وعلى علاقة وطيدة بالكنسية ، وقربها من مناطق محدودة خاصة مناطق جنوب النيل الأزرق التي تحاذى الحدود الأثيوبية مما يسهم في طريقة تسلل المسيحية وبصورة منتظمة . وفي مناقشات تمت مع عينات عشوائية من الشباب الذين تنصروا وجدت أن أسباب تنصيرهم المساعدات المادية التي تقدمها الكنيسة خصوصاً حينما يكون القادم نازحاً من منطقة ما . والعناية بهم في المدارس التبشيرية وفصول محو الأمية والمصحات والكنائس المشروعة والعشوائية .

رابعاً : التعليم

تضمنت سياسة التعليم الثنائي في السودان إعداد كوادر تحمل أفكاره بعد رحيله وكان لا بد لهذا الكادر أن يكون مثقفاً ثقافة خاصة ولا يكون الكادر محل ثقة إلا إذا كان مثقفاً ثقافة عالية ومعداً إعداداً خاصاً . من هذا المنطلق كانت فكرة إنشاء كلية غردون باسم الجنرال غردون (١) الذي كان يحكم السودان باسم الخديوي والذي قتل بالخرطوم في صبيحة السادس والعشرين من يناير ١٨٨٥م

❖ تلاحظ جودة الطباعة والاخراج الاعلامي في اصدارات ومطبوعات الكنيسة من المطبقات التي توزع علي الشباب والأطفال ، وقد وجدنا منها كميات بالكنيسة الكاثولوكية بقرية الهدى بسكر سنار .

١ . الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان – د. عبد الحي عبد الله – رسالة دكتوراة – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .

كأحد بناة الإمبراطورية ، وفي الحقيقة أنشئت الكلية لتخريج الكوادر وتعميق سياسة التغريب المطلوبة . ظهر ذلك واضحاً في تقرير لجنة (دى لاور) التي كونت من قبل حكومة السودان آنذاك حيث شرعت في تقديم توصيات من شأنها أن تترك أثراً واضحاً في حياة أبناء الشمال . وكان عليها كذلك أن توائم بين الحضارة الأوربية والمجتمع السوداني والتحقق من أن ثمة رابطة وثيقة بين المدارس والكلية وبين المجتمع الريفي البدائي والقادة المدربين .

ولإنشاء هذه المؤسسة التعليمية العليا التمس اللورد كيتشنر حاكم عام السودان آنذاك مساهمة الشعب الإنجليزي لتأسيس الكلية في الثلاثين من نوفمبر عام ١٨٩٨م الموافق ١٣١٦هـ وبين الهدف من فتح الكلية عبر الصحافة الإنجليزية وتوالت التبرعات من شتى بقاع الأرض من بريطانيا وكندا واستراليا ونيوزلندا ورأس الرجاء الصالح وجمعيات المسارح ورؤساء أفريقيا والهند ومصر وأمريكا ومن الأفراد والشركات والكنائس وجمعيات المسارح ورؤساء المجالس ولندن وليفر بول و «مانشستر» و«أدنبرة» و«نيو كاسل» و «روتشلد وأولاده و«أستون» و «ورنر» وغيرهم . (١)

وقد فاضت هذه التبرعات عن حاجة كلية غردون فأنشئت بهذا الفائض بعض المدارس في السودان . ويتضح بجلاء أن نداء كتشنر لأوربا ، والاستجابة السخية السريعة لهذ النداء ، أن التعليم الحديث الذي سوف يقوم ليس من أهدافه نشر المعرفة بين أبناء الشعب السوداني تمهيداً للإرتقاء بحياته العامة ولكنه تعليم يهدف إلى تثبيت دعائم المستعمر الأوربي وتحقيق أهدافه من احتلال السودان .

وقد قام اللورد كرومر معتمد بريطانيا في مصر وحاكمها الفعلي بوضع حجر

---

١ . المرجع السابق .

أساس الكلية في الخرطوم باسم الملكة فكتوريا في يناير عام ١٩٠٠ وافتتح مبانيها اللورد كتشنر رسمياً عام ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢ م وأطلق عليها اسم كلية غردون التذكارية وتمنى أن يتركز عليها التعليم النظامي في السودان الذي من شأنه أن يلبي حاجات السودانيين . على حد زعمهم ، تحت إشراف البريطانيين لإيجاد طبقة من السودانيين ترتبط فكرياً ببريطانيا وكان يرى أن إنشاء هذه الكلية سيعطي بريطانيا المركز الأول فى أفريقيا كقوة حضارية .

وتحقيقاً لهذه الشعارات المعلنة منها والخفية ، اتخذت الإدارة البريطانية عدة وسائل لتحقيقها تمثلت في :

١- إعداد معلمين بريطانيين إعداداً خاصاً لهذه المهمة وتهيئة المجال لتدريبهم على القيادة وإرسالهم إلى السودان

٢- ربط التعليم بالوظيفة .

٣- محاصرة ومحاربة الدين الإسلامي عن طريق الكلية .

٤- دس المفاهيم الدراسية المغلوطة ذات الأهداف التي تتفق مع السياسة التي يريدونها . (١)

أما فيما يختص بإعداد المعلمين في هذه الكلية فقد درجت الحكومة البريطانية على اختيار البريطانيين من السلك الدبلوماسي يقضون عدة أعوام يتمرنون خلالها على الحكم ، لاعلى التعليم بين طلبة العلم وصفوة أبناء البلاد ، والحقيقة أنهم يقضون أعواماً فى الكلية تحت التجربة فمن أفلح منهم وأجاد وسائل العنف والاستبداد والضغط ، رُقيَّ سريعاً إلى وظيفته في السلك الإداري ، إذ أنه قد اجتاز الامتحان وأمضى مدة التجربة على أحسن ما يرام .

وقد وصف المستر إدور عطية أحد الأساتذة بالكلية في كتابه الذي أسماه

---

١ . انظر المداخلة في المرجع السابق الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان أهدافه ووسائله وآثاره في العقيدة والأخلاق - المجلد الأول ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - مكة المكرمة .

(عربي يروي قصة حياته) الإعداد الخاص بقوله « كان الأساتذة البريطانيون أعضاء في السلك الدبلوماسي وشخصيتهم مزدوجة . فهم معلمون من ناحية وحكام من ناحية أخرى ، وكانت الصفة الأخيرة غالبة عليهم ، وكان هؤلاء التلاميذ يدركون أنه خلف كل مدرس من هؤلاء المعلمين صولة الحكومة وجبروتها وقوتها ، ويساعدها مدير المعارف والسكرتير الإداري والحاكم العام ، والمعلم الإنجليزي ليس وحده بل كان المعلم الإنجليزي في الكلية ينقل منها إلى المركز مفتشاً ، وينقل المفتش مدرساً اليها ، بجانب ذلك نجد أن بعض الأساتذة لهم سابق خبرة في بعض المستعمرات البريطانية الأخرى كالمسترلين والمستر ترنق معاً في كلية غردون قسم المعلمين ، أما ربط التعليم بالوظيفة السياسية فقد كان عاماً مبنياً على تخطيط اللورد كرومر الذي عمل على استيعاب وتوظيف كل خريجي كلية غردون لأنه يرى أن الخريج الذي لم يوظف في دواوين الحكومة سيصبح خطراً على حكومة من جهة ، ومن جهة أخرى يسهل على الحكومة الإشراف عليه ومتابعته وربطه بالنظم السياسية للدولة ذلك يجعل من كلية غردون المنفذ. والمؤسس الوحيد للتعليم في السودان ، ومعهداً لتدريب كوادر الموظفين الذين تحتاجهم الإدارة البريطانية .

ونتيجة لذلك فقد طرح لطلبة الكلية فيما بعد موضوع العلم أن يكون مقصوداً لإحساس الطلاب ووعيهم بما يدور حولهم .

خامساً : محاربة القرآن الكريم ومؤسساته التعليمية :

لقد وجه إلى التعليم الديني في هذه الفترة إهتمام خاص فقد أراد سردار وحاكم السودان الجديد السير ونجت أن يصنع له سياسة جديدة هدفها تقليص دور العلماء ووضعهم في دائرة الضوء بحيث تكون كل تحركاتهم وما يلقون من دروس تحت سمع وبصر الحكومة ففي عام ١٩٠١م أى بعد سنتين من اتفاقية الحكم الثنائي بين بريطانيا ومصر عين الحاكم العام البريطاني لجنة من بعض علماء السودان تكون مهمتهم مهمة استشارية له كما في خطابه أدناه .

أنه نظراً لما أحرزتموه من ثقتنا بكم ، ووثوقنا لعالميتكم وفضلكم قد ارتحنا إلى انتخابكم لتكونوا أعضاء اللجنة الرئيسية لجماعة العلماء . في جامع أمدرمان (١) الذي يكون من اختصاصها مباشرة تدريس العلم الشريف في الجامع المذكور وللنظر في تقرير من يصلح للتدريس في هذا الجامع وفي شئون الطلبة فيه ، وتكون أيضا موضع استشارتنا ورؤساء الحكومة السودانية فقط في الشئون الدينية وما يختص بالعلم والعلماء ، دون أن تكون مكلفة بابتكار أي موضوع من تلقاء نفسها حتى يعرض عليها ، وأن تحرر قرارها بما تراه وتقدمه لجهة الاختصاص التي لها الخيار بموجب ما تقرره اللجنة وعلى اللجنة ألاّ تحمل إحاطة الحكومة والاطلاع عليها دينية كانت أم علمية على السواء وبالكمال بكل ما يتعلق بالعلم والعلماء وطلاب العلم .

ولنا الأمل الوطيد في أن تقوموا بهذه المهمة التي عهدت إليكم أحسن قيام يكون من نتائجها ترقية شأن العلم وطالبية وصيانة الشعائر الدينية فإن هذا هو الغرض الذي ترمي إليه الحكومة الساعية لما فيه سعادة البلاد وأهلها . (٢)

ويلاحظ أن هذا الخطاب قد اشتمل على ضوابط ومحاذير للحد من نشاط العلماء الذين أصبحوا موظفين لدى الحكومة غير مكلفين بالنظر في أي مسألة من تلقاء أنفسم بل يكونون رهن الإشارة متى ما طلب منهم أمر ، عليهم إ حاطة الحكومة علماً بما يدور فيهم وفي أوساط طلابهم .

ورغم أن الحاكم أراد بذلك تقييد نشاط العلماء بتكوينه لهذه اللّجنة التي كونت برئاسة الشيخ أحمد البدوي . (٣) إلا أنه قدر لها أن تكون لها بادرة مع جميع

---

١ . مكان تعليم القرآن الكريم من مناهج التعليم الحديث د. عبد الله الطيب – مجلة التوثيق التربوي ص ٦ نقلاً عن محمد سليمان . دور الأزهر في السودان ص ١٢٣ – ١٢٤ والخطاب من الخرطوم بتاريخ ١٣ / ٦ / ١٩٠١ الموافق ٢٦ صفر ١٣١٩هـ .

٢ .أعضاء اللجنة التي تكونت برئاسة محمد البدوي هم النذير خالد ، عيسى دوليب – ابراهيم شريف – محمد عبد الحميد ود الجريف – محمد الأمين الضرير – اسماعيل الدول – محمد أحمد أنور – أحمد المجذوب – الجعلي التلب .

٣ . انظر / محمد سليمان دور الأزهر في السودان مرجع سابق ص ١٢٦ – ١٢٣ .

المسلمين وإقامة مؤسسات علمية عنيت في المقام الأول بالشريعة الإسلامية ، واللغة العربية. لقد كان من أهداف السياسة التعليمية الجديدة في السودان آنذاك ، إبعاد المسلمين عن الاهتمام بالقرآن الكريم بالطعن في طريقة استظهاره وحفظه حتى ينقلب من القلوب فيضيع ويحرف ويبدل شأنه شأن الكتب الأخرى وفاتهم أن الله تعالى قد تكفل بحفظه فقال جل من قائل : « إنَّا نَحنُ نَزلنَا الذِكرَ وإنَّا لَهُ لحَافِظُون» (١)

وقد تركز الهجوم أكثر ما تركز على الحفظ والأساليب التي يمكن بمقتضاها إقصاء القرآن الكريم عن القلوب ، ومن ذلك محاولة مصلحة المعارف بما لديها من سلطة من إلغاء نظام الحفظ باستخدام المنشورات والكتب الدورية إلى المدرسين . (٢) وقدم المستر جى بي سكون المفتش الأول للتعليم وأحد قادة الإصلاح لمصلحة المعارف في مايو ١٩٣٢م ورقة منها أن الخطأ الرئيسي في التلعيم يكمن في انتشار النظام الذي يلزم الطلبة بالحفظ والترديد الببغاوي للعبادات دون إدراك معانيها . ذلك النظام الذي ورثته المدارس الوسطى وكلية غردون عن الخلاوي . وبعد ستة شهور من مذكرة سكون لمدير مصلحة المعارف كونت لجنة نظام الخلاوى باعتبارها قليلة النفع ، أكدت اللجنة دور المدارس الأولية باعتبارها وسائل حديثة للتربية والتعليم ، وحدد دورها في تلقين العلم الملائم لكل من أبناء القرى والمدن .

ولما فشلت تلك المساعي في إحراز النتائج المرجوة ، ودعت حكومة السودان لجنة «دي لاوار» بناء على اقتراح من السير جميس كري لزيارة السودان عام ١٩٣٧م (٣) وكان مما ورد في تقريرها أن الجذور العقلية للطلاب التي اتصلت بالتقاليد في

---

١ . الحجر : آية (٩).

٢ . انظر خطاب اللورد كرومر الي سير غورثت في ١٢ / ١١ / ١٩٠٨م . عن د. محمد عمر بشير التعليم في السودان – ص ١٨٧ – ١٨٨ .

٣ . سكرتارية التعليم والصحة سياسة التعليم في شمال السودان – تقرير اللجنة التي عينها الحاكم في ٧ / ٣ / ١٩٣٣م.

التحصيل والثقافة وحفظ القرآن ، تتطلب حفظ الدروس عن ظهر قلب ، الأمر الذي جعل التعليم والثقافة الغربيتين يبدوان نتاج دولة أجنبية ومما جاء في تقريرها أيضا أنها أوصت بأن سن القبول بالدراسة الأولية (١) ما بين الخامسة والسادسة وذلك لتخليص الأطفال من عادة الحفظ التي تكتسب عند قضاء سنتين أو ثلاث بالخلوة قبل الالتحاق بالمدرسة الأولية . وقد كان لهذا الهجوم الشرس أثره العميق في المجتمع إذا أدى كما يقول الدكتور عبد الله الطيب الذي فند مزاعم الاستعمار في هذا الجانب إلى تطرف من الفزع منه ماتجنبه المدرسون تجنباً في باب اللغة العربية والقرآن ولكنهم استمروا بأسلوب الحفظ فيما عدا ذلك من العلوم . بما فيهن اللغات الأجنبية ولكن فقد طريقة الحفظ التي كان معمولاً بها عندنا المراد بها المادة لا الطريقة . (٢)

ويرجع إلى ما ذهب إليه الدكتور عبد الله الطيب من أن المراد بالهجوم على الحفظ المادة وليس الطريقة ، مستخلصات تقارير المبشرين الذين وظفهم الاستعمار للتنفيذ والاستخفاف بمقومات أمة الإسلام الجدل والمناقشة في قاعات الدرس أو بوسائل البلاغة والنشر في الميدان الفكري وبوسائل العون والدعم والإنشاءات في مجالات أخرى . (٣)

فمن مستخلصاتهم عن صورة المناهج التي تدرس في المعاهد كمايذكر الأستاذ أنور الجندي يتبين لنا من صريح رأيهم أن المسلمين قوم لهم كتاب يثقون به ثقة لا جدل فيها وقد حملت تعاليمه لهم عوامل الوحدة والقوة وهو يدفعهم إلى مقاومة الغاصب والمعتدي والدخيل ، ويشن أعنف مقاومة هي الجهاد ، وقرآنهم

---

١ . د. محمد عمر بشير – تطور التعليم في السودان ص ٢٢٠ . (لقد اشترطت وزارة التربية والتعليم من حكومة الانقاذ الحالية الحاق الاطفال بمؤسسات تحفيظ القرآن الكريم قبل ادخالهم المدارس الابتدائية .

٢ . د. صابر طعيمة وأخطار الغزو الفكري علي العالم الإسلامي عالم الكتب الطبعة الاولي – ص ٧٣ .

٣ . انور الجندي – الاسلام ووجهة التقريب – دار النصر للطباعة الإسلامية الناشر دار الاعتصام – القاهرة – ص ١٢١ – ١٢٢ .

يرسم لهم منهج حياة كامل من القانون والسياسة والاقتصاد ، والاجتماع ، ويقوم على نظام شامل على التوحيد والأخلاق والوحدة والمساواة والعدل الاجتماعي والشورى ، وهم إذا ما اتبعوا هذا المهنج فمن المحتم أن تكتب لهم السيادة ولا بد ان يزيلوا نفوذ الغرب عن بلادهم ، لذلك فإن أصلح طريقة للحيلولة دون تنفيذ مخطط الإسلام الاجتماعي والسياسي ، أن يكونوا قادرين على تربية جيل يكره هذه المفاهيم ويحتقرها ويسخر منها . ويظهر لنا مخططهم بوضوح إذا علمنا أن الافرنج - كما يذكر الدكتور عبد الله يحفظون صغارهم روائع أدبهم حفظا ثم يأخذونهم من بعد ذلك بقراءة أصناف التعليقات ويناقشونهم المناقشة التي تفتق أذهانهم ، وتمكن كلا منهم بحسب قوة إدراكه من النظر وإنشاء الأداء. (١)

فهم قد علموا ما للحفظ والاستذكار من أهمية في تثبيت العلم في القلوب فأرادوا اجتذاز القرآن الكريم من القلوب بالطعن في الطريقة التي يدرس بها ووصفها بالرجعية مما جعل البعض أن يعتذر ويتبرأ من تلك الطريقة بما نادى به الاستعمار .

وقد جر إهمال حفظ القرآن كما يقول الدكتور عبد الله الطيب إلى كثير من تناسي أهميته ثم الهبوط شيئا فشيئا في مستويات العربية من تحسين الألفاظ وتجويد الخط والإملاء وتقويم الألسن في المخارج والأساليب والبيان وقد كثر الآن عدد الجاهلين بقصار المفصل من خريجي الجامعات كما كثر عدد غير القادرين على التلاوة من المصحف المطبوع يليه المخطوط من أجل الجهل بالرسم .

ومما يؤكد ذلك أن «كرومر» كان يرى في تطور التعليم الأول (الخلوة) التى كانت تقوم على دراسة القرآن الكريم ، بعض المخاطر إذ يثير هذا النمط في نظره الحماس الديني والتعصب لذلك فقد كان من رأيه كما سبق وقدمنا أن تخلط

---

١ . عبد الله الطيب - مكان القرآن من مناهج التعليم الحديث - مجلة التوثيق التربوي (٣) النسر التربوي الخرطوم ص ٣٣ ٣٤ .

دراسة القرآن بتدريس مواد علمانية، وكانت نظرة كرومر للتعليم الديني هو أن يقتصر على المعلومات الأولية في الدين الإسلامي .

وأن ليس ثمة لزوم لأي زيادة على ذلك قد تشكل خطورة لا مبرر لها ، ولذلك حول جيمس كري وزير المعارف الخلاوي إلى مدارس كتاتيب وأدخل مناهجها تدريس ومبادئ العلوم الإنسانية وذلك للحد من تحفيظ القرآن الكريم وتحويل الخلاوى عن أهدافها التي أنشئت من أجلها . (١)

أدرك العلماء هذا الهدف فاحتفظوا لخلاويهم بوضعها الأصلي خوفاً من هيمنة الإدارة الإنجليزية ، إلا من بعض المواد كالحساب والمواد الأساسية التي لايستغني عنها الإنسان ، ولكن نجد آخرين قد انساقوا وراء هذا النظام الجديد تحت ضغط الحاجة والأعراف المادية ، يقول الهادي أبو بكر ، واصفاً ذلك بقوله « حوربت خلاوى القرآن ورا حوا يغرون مشايخها بمرتبات ثابتة في مقابل أن يسمحوا بإدخال القواعد والنحو والحساب ومبادئ العلوم الإسلامية وذلك بقدر لا يغني فتيلاً ثم تطويرها بعد أن أذعنت لسلطات الحكومة وأصبح شيوخها تنطبق عليهم شروط المستخدمين وأصبحت تعرف باسم المد ارس الصغرى وبذلك اختفت مراكز تحفيظ القرآن وقد نتج عن هذا الوضع الجديد لخلاوي القرآن الكريم ما عرف في نظام التعليم العام في السودان باسم « ازدواجية التعليم» وهي أن تطوير الخلاوى بالطريقة التي تمت بها جعلها في وضع جديد تماماً ، فلا هي ظلت خلاوي للقرآن الكريم بالمفهوم الذي عرفت به الخلوة في السودان ، ولا هي أصبحت مدارس أولية مكتملة من حيث مدة الدراسة والمحتوى ، والمدارس والمناهج الدراسية وكان هذ ا النظام الجديد يبين لنا البعد الذي قصدته الإدارة البريطانية من هذا الاتجاه في سياسة التعليم وقد خلفت

---

١ . المرجع السابق – وانظر تطور التعليم في السودان – د. محمد عمر بشير ص ٦٤ – ٦٥ .

هذه الازدواجية كمايقول الأستاذ أحمد سعد مسعود مشاكل كثيرة لنظام التعليم العام في السودان امتد إلى ما بعد استقلال البلاد لفترة طويلة إلى جانب أن مستوى الدراسة في المدارس الصغرى أقل منه في المدارس الأولية ونتج عن ذلك حرمان طلاب تلك المدارس من مواصلة تعليمهم في المدارس الوسطى وبالتالي المدارس الثانوية ولعل من الأوجب أن نشير في ختام هذا المبحث إلى أن المنهج ذو الطابع الحديث الذي يُؤهل الطالب فيه علي الحصول علي مستوى جامعي معترف به يمكنه من بعده تحصيل فوا ئد مماثلة لما يحصل عليه خريجوا الجامعات ومثل هذا الدأب كما يقول الدكتور عبد الله الطيب .

« صائر لا محالة بطالب القرآن إلى طلب منهج حديث يباعده من (وجوب) حفظه ثم يبتعد عنه شيئا فشيئا حتى تقوم المشكلة كما بدأت .

ولعمري إن هذا الخطر المستكن أبداً في ألوان الازدواجية التعليمية التي تواجهها البلاد العربية في عصرنا الحاضر . وللحقيقة كما يقول الدكتور الطيب زين العابدين فإن مادة العلوم الاسلامية وطريقة تدريسها في هذا الوقت ما كانت لتعين الطالب على توسيع أفقه ، وتزويده بما يحتاج إليه في الحياة العامة تعينه على صقل مواهبه وتنمية مداركه الفكرية والاجتماعية . وهكذا اجتمع كسب دارس العلوم الدينية ، زائداً سياسة الاستعمار التي قصدت إضعاف الثقافة الإسلامية وإبعاد أهلها عن فاعلية التأثير في الحياة العامة فأدى لأن يتعذد خريجو المدارس المدنية مجالات الحياة المختلفة.

وقد وضع الدكتور عبد الله الطيب تصور ما ينبغي التعويل عليه ، ومخرجاً من هذه الازدواجية القائمة ذات الخطر المستكين موضحاً أن التوفر في الحفظ ليس بقاتل لملكة النقد والتحليل كما يتصور المرجفون حيث قال « أن المخرج عسى أن يكون في المحاولة منا بجد أن نجعل القرآن والعربية هي ما استفدناه من تجارب التعليم الحديث ومناهجه ، ونقد أصناف النقاد لما كان في مناهجنا القديمة ، وما كان يقع علينا من أخطاء وعلينا ألاّ نفزع من تهمة التعديل على

الحفظ في التعليم على أي حال ، ولذلك قيل في المثل « العلم في الصغر كالنقش في الحجر» (١) دائما يعاب الحفظ بلا فهم والخلو من مكان التحليل والنقد وليس التوقف على الحفظ بقاتل لملكة النقد والتحليل وإنما يقتلها إهمالها أو قمعها وكراهة التصرف من التلاميذ وحملهم في إجابة ما يسألون عنه بتكرار ، ما قيل لهم في كتابة الدرس من كتاب معين نقلاً لفظياً ليس إلا .

هذه بعض الوسائل والمحاولات التي مورست من قبل المستعمر في محاربة القرآن الكريم ومؤسساته سقناها من باب المقال لا الحصر بحسب تسلسلها التاريخي ليدرك القارىء مراوغته بين الحين والآخر مستعيناً بخبراء دوليين في شئون التعليم لهدم عقيدة الأمة الإسلامية بشيء من الوسائل وقد كان الهجوم عنيفاً ولكن خاب الفأل . (٢)

يذكر الشيخ محمد عبده في كتابه الإسلام وا لنصرانية أن الكنيسة الأسبانية غضبت لانتشار فلسفة ابن رشد وأفكاره وخصوصاً بين اليهود فصبت جام غضبها على اليهود والمسلمين معاً. فتمكنت من طرد كل يهودي لا يقبل المعمودية وأباحت له بيع العقار والمنقول وما يشاء بشرط أن لا يأخذ معه ذهباً ولا فضة وإنما يأخذ الأثمان عروضاً وجوالات وهكذا خرج اليهود تاركين أموالهم بأن ينجوا بأرواحهم وحكمت الكنيسة بذلك سنة ١٠٥٢م على المسلمين « أعداء الله» بطردهم من أشبلية وما حولها إذا لم يقبلوا المعمودية بشرط ألا يذهبوا في طريق يؤدي إلى بلاد إسلامية ومن خالف ذلك فجزاؤه القتل .

والذين قرءوا تاريخ المسيحية يعرفون ماذا جرى للعالم المصري «أيديوس» وأتباعه الذين عارضوا القول بألوهية المسيح بمجمع نيقية المشهور لعام ٣٢٥م وكيف صار هذا المجمع بعد أن طرد من أعضائه كل المعارضين .أُدين «أيديوس»

---

١ . هذا المثل ذكره د. عبد الله الطيب وقال انه مثلا مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم بأسانيد ضعيفة كما روي من قول الحسن البصري - اخرج هذا البيهقي في المدخل والطبراني في الكبير - انظر السخاوي - المقاصد الحسنة - دار الكتب - مكة المكرمة - ص ٢٩٣ .

٢ . د. عبد الله الطيب - مكان القرآن في مناهج التعليم الحديث - ص ٣٢ - ٣٣ .

ومنعت كتبه وحُرم على المعارضين اقتنائها وعزل أنصاره من كل الوظائف ونفيهم والحكم بالإعدام على كل من أخفى شيئاً من كتابات «أيديوس» وأيد مذهبه .(١) واستمر الاضطهاد للداعين للتوحيد حتى اختفوا تماما من المجتمعات المسيحية ولم يبقى لدعوتهم أثر .

وهناك قضية التعريب والدعوة العلمانية كما أورد جريشة أنهم احتاجوا إلى العلمانية لظروف خاصة لهم ونحن لا حاجة لنا إلى العلمانية لأنها كانت حلاً لمشكلاتهم مع كنيستهم وهى عندنا تكون مشكلاً في ذاتها .(٢)

وحقاً يريدون تشويه النهج الإسلامي وصلاحيته مقابل أن المسيحية شوهت نفسها لذا تستهدف المجتمعات المثقفة وأنصاف ا لمتعلمين بهذه الأفكار .

---

١ . الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٣٦ – ٣٧ .

٢ . أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامي : علي محمد جريشة وحمد شريف الزيبق ص ٣٥ – دار الإعتصام ط٢/ : ١٣٩٩ – ١٩٧٩م.

وانظر د. الطيب زين العابدين – التيار العلماني – دائرة السودان ص ٦ .

المبحث الثالث :

دراسة آثار اللهجات المحلية :

أما أثر دراسة اللهجات المحلية فالخطر فيها أنه أريد بها جذب الشعوب الإسلامية إلى إقليمية ضيقة وبتر علاقتها التضامنية مع بقية المسلمين وليس بعيداً ما نراه من ظهور الدعوة الفرعونية بمصر بدلاً من الانضواء تحت لواء الإسلام والعروبة وكذلك الفينيقية والآشورية إلى آخره .

أما موضوع اللهجات المحلية فالخطر أنها كانت الكارثة المباشرة التي كان هدوؤها الظاهر في عملية الغزو هو الدعوة إلى العامية بدلاً من الفصحى اللغة المشتركة بين المسلمين للقضاء على لغة القر آن وفصل المسلم عن تراثه .

أما عنايتهم بكتب التصوف وتاريخ المتصوفة والعقل الإسلامي من الواقع اليقظ إلى شطحات وتعاملات لا تمت إلى قيادة حركة الحياة من ناحية ثانية فالمعروف في التصوف أن كل شيخ له طريقة ، ومعنى هذا أن تنحدر دائما للتجزئه والاختلاف . بدلاً من التلاقي على دروس التوحيد والتضامن المستمد مباشرة من صفاء العقيدة . (١)

فإذا جاوزنا كل ذلك واجهنا الموقف العدائي من التنصير والمستشرقين للإسلام ورسول الإسلام صلي الله عليه وسلم ولهم في هذا سوءات وسوءات .

والجهود الأولى للمبشرين تنصب على قطع الطريق على الإسلام في المناطق التي كانت بدائية ، ولا تزال غالبة عليها البدائية كما هو الحال في بعض مناطق أفريقيا .

والعمل في مجال التنصير يحتاج إلى نوعيات بعينها من الرجال وهم من زمن بعيد قد أحسنوا إعدادهم لهذه الغاية .

---

١ دراسة ميدانية مع الأستاذ / مصطفى محمد علي سعيد – مدير معهد التأهيل التربوي – سنار ونائب والي ولاية النيل الأزرق ووزير الزراعة بالدمازين – عن اللهجات المحلية ١٩٩٩م.

وفوق هذا فإن الجهود تتبناها جمعيات أو بعض أجهزة المخابرات وتنهض بها دول الغرب قاطبة ولهم في الفاتيكان دولة ذات إمكانيات ونفوذ غير محدد لهذا كله فإن التنصير خطره أكبر من النشاط الاستشراقي في مجال الغزو ، لكنه وكلما ازداد الوعي وانتشر التعليم والثقافة بات جهد المستشرقين غير ذي جدوى إلا في حالتين :

الحالة الأولى :

وهي الحالة التي يسقط فيها الضحية سواء أكان فرداً أم حكومة نتيجة للحاجة المادية الملحة . عندئذ يكون الفقر طريقاً إلى الكفر كما يقولون .

الحالة الثانية :

عندما يتمكن المتنصرون من فتح المدارس للإرساليات ، وتصرح لهم الدول الإسلامية أو غير الإسلامية بذلك . عندئذ لا بد أن تقع الكارثة لأننا بأيدينا نقدم أنفسنا إلى الطوفان الذي يجتاح البلاد .

تبدو هناك ملاحظة هامة هي دور التبشير في الخطة . الحق أن الاستشراق والتبشير يمثلان أهم الركائز أو تبصير الطلائع المبكرة والمؤثرة في حركة الغزو الفكري في العصر الحديث وهذه الملاحظات تتمثل حول دور الاستشراق ومعلوم من جهود المستشرقين كانت موجهة لصالح المؤسسات والهيئات ومكافأتهم آخر الأمر على ما يبذلون من جهود ، والمتصلون بنشاط التبشير والمستشرقون يعرفون أن أبرز مجالات عملهم كانت تنحصر تقريبا في :(١)

١- تحقيق التراث الإسلامي ونشره وفق هواهم في معظم الأحيان .

٢- دراسة اللهجات الملحية للشعوب والقبائل يساعدهم في نشر باطلهم .

٣- دراسة العوامل الإجتماعية والنفسية والإقتصادية المؤثرة في سيرة كل شعب .

---

١ . ورقة قدمت لمؤتمر جلسة المشايخ بالدمازين ١٩٨٩م تحت رعاية والى الولاية الوسطى – العميد م. عبد الوهاب عبد الرؤف شتا ١٩٨٩م.

٤- دراسة الفرق والنحل والنزعات المختلفة والمتطرفة منها بصفة خاصة .
٥- دراسة الحفريات والآثار .
قد يقال للوهلة الأولى أن تحقيق تراثنا والعناية بدراسة أحوال شعوبنا مفيد في التوجيه السياسي والثقافي والتربوي لها، وأن المستشرقين يشكرون لأنهم اهتموا بتراثنا وأخرجوه من الظلمات إلى النور وأفادونا بإشارات الاهتمام في هذا الجانب بتقديم نماذج لمناهج النشر أفاد كثيرا من المحققين وبالرغم من وجود بعض المنافع فى هذا العلم إلا أن ضرره لا يحصى وذلك يتمثل في اهتمامهم بجانب الأب اللغوي وإهمالهم للجانب العلمي في تراث المسلمين وفي هذا تشويه متعمد للروح العلمية التي ما زالت في حاجة إلى التأصيل والتنمية ، والملاحظ كذلك شد انتباه المثقفين / المسلمين وإيهامهم بأن حركة التوثيق والتحقيق أسلوب ابتكره الأوربيون ، بينما الحقيقة أنهم أهملوا الباحثين من المسلمين للتشكيك في كفاءة العقلية المسلمة والايهام بانها تحتاج الى متابعة المبشرين والباحثين الغربيين .
إن عمل الرواية وخاصة رواية الحديث النبوى الشريف تعتبر أدق المناهج الموضوعة التي تميز بها المسلمون وسبقوا بها غيرهم .... إن مايحققونه وينشرونه إلينا من العناية بالحركات الهدامة و النزعات الغربية وبكل المواقف و الآراء ا لمثيرة للجدل والخلاف بين المسلمين ، فهم مثلا حين يبحثون في علوم القرآن لا يستوقفهم شيء أكثر مما يستوقفهم الخلاف بين القرآن وما يتصل به من « حديث الأحرف السبعة » وكأن شيء يثير ذلك الاهتمام . وحيث يدرسون تاريخ العصور الإسلاميه يهتمون كثيرا بتاريخ الفتنة الإسلامية التي نشبت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وما نتج عنها من فرق ومذاهب ... ويقفون كثيرا عند الحركات الغامضة التي يختلف حولها الناس فهم يهتمون مثلا بحركة «الزنج» و « القرامطة» والحركات الباطنية والخلويين وحركات المتصوفة ، ودعاة وحدة الوجود وغيرهم وموقفهم من الحلاج وابن عربي وغيرها . (١)

١ . انظر الغزو الفكري أسبابه ووسائله الطبعة الثالثة د. عبد الصبور مرزوق . وانظر مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها وأثرها د. مدثر عبد الرحيم – طبعة أولي ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

الفصـــل الثـــالث

المبحــث الأول

الدعــوة الإسلاميــة وقــدراتها في المنطقــة

المطلب الأول: دور سلطنة الفونج في نشر الدعوة الإسلامية

المطلب الثاني : الكوادر المخلصة .

المطلب الثالث : انتشار المراكز الدعوية .

المبحــث الثــاني

معوقـات العمـل الدعـوي .

المبحـــث الاول

الدعوة الإسلامية وقدراتها في المنطقة

المطلب الأول : دور سلطنة الفونج في نشر الدعوة الإسلامية

عـرفت فـي التـاريخ بـاسم سلطنة الفـونج أو سـلطنة سنار كـمـا عـرفت أيضـا بالسلطنة الزرقاء. (١) و اختلفت الآراء حول أصل حكام الفونج . فمنهم من قال أنهم من عمان ومنهم من قـال أنهم من بلاد برنو فـي وسط أفـريقـيا ومنهم من ذكر بأن أصلهم من قبيلة الشلك بجنوب السودان .

لكن المعـرووف أنهم كـانو قـومـا يدينون بـالإسـلام ويتـحـدثون اللغـة العـربيـة ويتمسكون بالعادات والتقـاليد والأعـراف التي كانت سائدة في الجزيرة العربية وكان يحكم السودان قبل قيام دولة الفونج ثلاث ممالك وهـي :

١- « المقرة » في الشمال وعاصمتها دنقلا .

٢- مملكة « علوة » وعاصمتها سوبا وهـى على النيل الأزرق .

٣- مملكة « البجة » في شرق السودان ومقر ملكها هجر .

وبالرغم من أن الهـجـرات الدينيـة إلـى السـودان قـد بدأت منذ زمن بعيـد إلا أنهـا زادت بشكل ملحوظ بعد زوال دولة المقرة وكانت تعرف بدولة النوبة عقب مصرع الملك المسيحي في عهد الظاهر بيبرس ٩٨٢ - ١٢٧٦ .

أما الدولة المسيحية الأخرى في وسط السودان وهـي دولة علوة فإنها لم تلبث أن أخـذ العـرب يطبـقـون عليهـا من كل جـانب ثم تحـالف الفونج بقـيـادة زعـيـمـهـم «عـمـارة دنقس» مع عـرب القـواسـمـة . بزعـامـة «عبـد الله جمـاع» ضـد دولة علوة وحـاصروا عـاصـمـتهـا سـوبا . وخـريوهـا وتم لهم النصـر ، حتى صار خـراب سـوبا مضرب المثل في السودان حتى الآن ونشـأت دولة عربيـة إسـلامية جديدة بقيادة «

---

١ . تطلق في السودان كلمة (أزرق) على كل من كان لون بشرته أسود وتطلق كلمة أحمر على كل من كان لونه أصفر - ومن هنا عرفت السلطنة الزرقاء .

عمارة دنقس » و«عبد الله جماع» الذي أصبح وزيره ويليه في الأهمية .(1)
وبذلك تم الاتفاق على أن يكون السلاطين من الفونج والوزراء من العبدالاب وكان ذلك ٩٢٠ هـ / ١٥٠٤م.
اتسعت رقعت سلطنة الفونج وأصبحت حدودها تمتد من حدود الحبشة حالياً شرقاً إلى النيل الأبيض غرباً، ومن الشلال الثالث شمالاً إلى جبال فازوغلى جنوباً ، و كان الحد بين مملكة سنار ومشيخة قري التي سيطر عليها العبدالاب . وهي مدينة أربجي شمال شرق المسلمية التي قيل أنها اقتطنت قبل سنار بثلاثين عاما وقد اختطها رجل يدعى حجازى . وكانت المناطق التي تمتد إلى الجنوب من أربجي تابعة لملوك سنار رأساً لا دخل لمشايخ قري فيها ، في حين أن المناطق التى تمتد شمالاً إلى الشلال الثالث تابعة لإدارة مشيخة قري تحت سيادة ممالك الفونج ، وقد كانت المملكة مقسمة إلى عدة ممالك ومشيخات تضم عناصر النوبة والعرب والحضر والبادية . وكان كل ملك أو شيخ يدفع الجزيه لملك سنار .إلا إذا كان يتمتع بنوع من الاستقلال أما البلاد الواقعة بين الشلال الثالث والشلال الأول فقد كانت بيد الكشاف ، والأتراك وكانت مملكة الفونج محاولة لخلق إدارة موحدة في البلاد . ولم تكن حكومة بالمعنى الحديث ولكنها كانت حكومة إقطاعية .
فللسطان الأرض وللزعماء الحكم على قبائلهم . وكانت أهم الصعوبات التي تواجه السلاطين هي اتساع البلاد وصعوبة المواصلات ، وكان سلاطين الفونج لا يطلبون من زعماء القبائل الذين يتمتعون بسلطات واسعة على أقاليمهم . غير الجزيه والخضوع الأسمي لهم . لذلك اهتموا به فاتخذوا كل الوسائل لسلامة المسافرين بأمتعتهم – وبضائعهم ولم تكن للسلطنة الزرقاء عملتها المحلية ، بل كانت تستعمل الريال النمساوي. وقد دخلت السلطنة الفونجية في حرب مع

---

١ . مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادي النيل – دار الثقافة – بيروت ط/ ١ / ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م ص ٣٢ .

الحبشة نتيجة خلافات حدوية وتجارية. وخشية سلاطين الفونج من التنصير. حيث كانت البعثات الفرنسية « الخرويت» تعبر الأراضى السودانية إلى الحبشة بعد نزولها إلى سواكن فقام السودانيون بقتل رجال البعثة الفرنسية وقضوا عليها في (١١٢١ هـ نوفمبر ١٧٠٥) ونتيجة لهذا قام الأحباش بتسيير حملة ضد الفونج انتصر فيها الأحباش أول الأمر إلا أن الجيوش السودانية ما لبثت أن هزمت الأحباش هزيمة ساحقة (١١١٦هـ / ١٧٤٤م) ، وقد اتخذ المنصرون الفرنسيون السودان طريقاً لهم إلى الحبشة بدلاً عن النزول في مصوع وتلك محاولة منهم لبداية نشاطهم التنصيرى في السودان ، فإن لم يجدوا معارضة من جانب سلطنة الفونج استمروا في نشاطهم ، وإلا واصلوا سيرهم نحو الحبشة .

ومن أبرز الظواهر في هذه السلطنة دخول التعليم عن طريق الفقهاء الذين قدموا من الحجاز ومصر والأندلس وغيرها ، وهؤلاء الفقهاء هم الذين ساعدوا كثيراً على نشر الديانة الإسلامية . وكان سلاطين الفونج يجعلون للفقهاء مكانة خاصة في الدولة. (١) ومعظم العلماء والفقهاء الذين تقاطروا إلى السودان تمركزوا في دولة الشيخ عجيب المانجلك (٢) شيخ مشايخ العبدالاب . إلا أن اتساع رقعة سلطنة الفونج جعل سلاطينها غير قادرين على بسط نفوذهم على الأقاليم وما بها من قبائل والتي تخضع لهم تارة وتتمرد عليهم تارة أخرى ، كما أن العلاقة بين الفونج والعبدالاب أيضا كان يسودها عدم التفاهم أحياناً. بل إن العاصمة سنار نفسها كانت مسرحاً لحوادث دامية ، إذ استمرت فيها الإغتيالات السياسية . فكان الوزراء يدبرون المؤامرات ضد السلاطين ، كما أن الوزراء أنفسهم كانوا يقتلون بعضهم بعضا . ثم أن هذه السلطنة قد دخلت في حرب ضد قبيلة المسبعات التي حكمت كردفان في ظل حكم الأتراك مع الاعتراف

---

١ . ضرار صالح ضرار – ص ١٦ .

٢ . مكي شبيكة : تاريخ شعوب وادي النيل – ص ٣٢٠ .

بسيادة إسمية لسلطان درافور وتمكن الفونج من هزيمتهم فظل قائد الجيش محمد أبو الكيلك حاكماً على كردفان مدة خمسة عشرة سنة بعدها رجع وخلع السلطان بادي أبو شلوخ حتى سنار وكان ذلك أمراً طبيعياً نتيجة ضعفه وإسرافه في اللهو وارتكاب المظالم وإهانة أهل العلم والصلاح وسلب الأموال من عائلات كبار الفونج الذين كانوا في حملة كردفان . (١)

ومن أبرز المظاهر أيضاً في سلطنة الفونج فقدان الشعور بالوطنية السودانية فقداناً تاماً ، فإن الفونج فشلوا في خلق مثل هذا الشعور فشلاً ذريعاً بالرغم من أن الفرص كانت مواتية لهم أثناء حروبهم المتكررة مع جارتهم الحبشة ، وكما أنهم أخفقوا في إيجاد جيش وطني ووضع ميزانية موحدة للدولة كما أهلمت المناطق النائية عن سنار ولم تكن تدعى القبائل للاشتراك في حروب السلطنة مع أعدائها ، كما أن عدم وجود خزينة عامة جعل من غير الممكن أن تتفق الدولة على مرافق الحياة المختلفة .(٢)

وبذا إتضحت بدايات القرن التاسع عشر بمثابة بوابة لدخول شمس سلطنة الفونج الضعيفة المتصارع عليها من قبل أبنائها مع السلطة ، ليفتح الباب أمام الطامعين ولم تكن الأطماع هذه من الشرق حيث الأحباش والذين أصبحوا أعداء تقليديين لحكومة السودان بل جاءت من الشمال حيث يحكم الباشا والي مصر صاحب أكبر قوة في أفريقيا في ذلك الوقت .

وقد كان انتشار الدعوة الإسلامية عند قيام دولة الفونج (٩٣٠ هـ / ١٥٠٤م) لا يعدو أن يكون إسمياً في مرحلته الأولى فلذلك مارسوا الدعوة قبل قيام دولة الفونج بقليل :

- كانت تنقصهم الثقافة الإسلامية العميقة .
- بذلوا جهدهم لكسب المسيحين والوثنيين في السودان .

---

١ . المرجع السابق – ص ٣٢٤ .

٢ . ضرار صالح ضرار ص ٩ .

- اعتماد الطقوس دون الدخول في التفاصيل المرهقة والعقيدة .
- تمركز الصوفية وهم يمثلون أغلب الرعايا الأتراك .

من هؤلاء العلماء الشيخ غلام الله بن عائد اليمنى وقد قدم من (الحليلة باليمن) إلى دنقلا في النصف الثالث من القرن الرابع عشر . كما قدم الشيخ أحمد أبو دنانة والشيخ عبد الله بن سليمان مؤسس الطريقة الشاذلية بالمغرب والذي يروى أنه قدم للسودان في القرن الخامس عشر واستقر بمنطقة سقادي غرب . الواقعة غرب المحمية، فإذا صدقت هذه الرواية تكون الشاذلية أول الطرق الصوفية دخولا في السودان وفي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري في عهد الشيخ عجيب المانجلك قدم الشيخ إبراهيم البولاد من مصر إلى دار الشايقية ودرّس فيها الفقه وانتشر علم الفقه في الجزيرة .

ثم بعد يسير قدم الشيخ تاج الدين البهادى من بغداد وأدخل الطريقة الصوفية في دولة الفونج . ثم قدم الشيخ التلمساني إلى الشيخ محمد ولد عيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن ورواياته وتجويده ووطد الفونج أركان دولتهم حيث توافد العلماء المسلمين . كشأن أول دولة اسلامية آنذاك لاهتمام الملوك بفرض سلطاتهم عبر نشر الخير وإظهار حسن النوايا . ومن خلال نشر دعو الإسلام وإرسال الهدايا إلى الحرمين الشريفين والقيام بشأن الحجاج كواجب من واجباب الدولة الاسلامية التي يؤمن بها المسلمون في أنحاء العالم . ورؤية الوحدة الإسلامية كل فترة حين قيام دولة إسلامية منذ نهاية الخلافة الإسلامية بعد نهاية الرويلات القريبة المسلمة وتكدس العمل في دويلات بصفتها الحاكمة وكإطار جديد لنشر الثقافة والدعوة الإسلامية فكان التفاف العلماء المسلمين حول دولة الفونج .[1]

ونسبة لما يجدونه من اهتمام خاص من زعماء دولة الفونج بما قدموه من هبات

---

١ . انظر تاريخ السودان – نعوم شقير – ص ٤٥ –٤٦ .

وهدايا تشجع على توافد العلماء إلى السودان . فأخذ رجال الدين يشرحون للناس أصول دينهم مبينين لهم ما يتقارب مع موروثاتهم من عادات وثنية وتقاليد مسيحية . وبازدياد عدد العلماء الذين بدأوا كمرحلة ثانية في نشر الإسلام وتعميق مفاهيمه على أسس سليمة إلا أن الطابع الصوفي كان هو الغالب عند أولئك النفر الذين قدموا لنشر الإسلام في السودان ذلك لأن تلك الفترة قد غلبت فيها الطرق الصوفية وهيمنتها على كثير من مظاهر الفكر الإسلامى وقد خضع انتشار الإسلام خضوعاً تاماً للجو الصوفي وهيمنته على كثير من مظاهر الفكر الإسلامي . وقد اتخذ المتصوفة أسلوباً بسيطاً لنشر الدعوة يتمثل في :

١- اتباع منهج خلقي تعبدي خاص .

٢- قراءة أذكار وأوراد معلومة .

٣- التمتع بالخلق والورع والزهد .

ولكن بالرغم من ذلك فقد ساهم كثير منهم في إفساد العقيدة وذلك عندما اختلطت المفاهيم العقدية على البعض .

فاعتقدوا أن شيخ المتصوفة لديه بركة من الله وهو بما أوتي من بركة يعتبر خير واسطة بين العبد وربه ، وإن كان صاحب هذه البركة حياً أو ميتاً ينقذ ويشفع لمن يتوسل إليه، فصار مشايخ الطرق الصوفية يمثلون قوة روحية ذات سلطان ، واختلط السلطان مع الطريقة وأضحت معالم الطريقة تأخذ أوجه نظام السلطنة في كل عمليات التنصيب ومناسبات الدولة والحفاظ على مقدرات الدولة وجبروتها. ذلك باعتقاد أن الأحياء والممات على أيدي مشايخ الطرق الصوفية والضرر والنفع بيدهم أيضا ، ولم يبذلوا جهداً لإزالة مفاهيم الدجل والشعوذة والخرافات حتى أصبحت أحد مظاهر التصوف لدى عامة السودانيين وشهدت الأضرحة والقباب والقبور انتشاراً واسعاً على شاطئ النيل الرئيسي

(النيل الأزرق) (١) وبدلاً من أن تدل تلك الظواهر على تصـورفي عـمق التـدين صـارت تدل على تّصور في الاتجاه الصحيح إلى الله تعالى وفساد في العبادة الصحيحة ومنذ فجر الحكم التركي المصري إلى السودان وجد الصوفية وطرقها متمكنة في السودان فحاول الاستفادة منها إلى أقصى درجة والاستعانة بها في كثير من المواقف لتثبيت دعائم وخدمة السياسة في البلاد .
أخيراً نخلص إلى أن الصوفية وانتقال الإسلام من شرق أفريقيه إلى دولة الفونج وتمسك أهل المغرب العربي بالتصوف كان له كبير الأثر في نشر التصوف قبل ترسيخ الدعائم الأساسية للدعوة الإسلامية وقد كانت أحد أساليب الدعوة أنها صادفت الهوى الأفريقي في شكل إنحرافاتها العقائدية لإيمان العنصر الزنجي بالخرافة والسحر والشعوذة فقد وجدت تلاقحاً جديداً أسفر عن ميلاد انحسار للمفاهيم الإسلامية الصحيحة وترسيخ الأفكار الدخيلة وإضافة همهمات وتمتمات على الفهم الإسلامي وحصر الدور الفكري في الإتجاه الروحي فحسب . (٢) مما دعم الموقف السياسي الاستعماري عند دخول الأتراك إلى السودان وعند دخول المستعمر البريطاني مما غيب الوعي الشبابي الإسلامي وأصبحت مثل هذه القضايا تثير جدلاً عقائدياً حتى اليوم وتسهم في نشر الأفكار العلمانية واليسارية وغيرها . وقد ظهر ذلك جلياً في ملامح ظهور سلطنة الفونج وكان لا بد من التعرف على تطور الأحوال في المناطق المجاورة وفي أرتريا خاصة . حيث كانت عاصمة السلطنة وذلك لنستطيع تكوين التركيب التاريخي لبداية هذه السلطنة حول النيل الأزرق فقد كان هناك تنافس قبلي و صراع بين المجموعات القبلية .انتهت في أوائل القرن الخامس عشر بنهاية بعض القبائل وظهور مجموعة الهدندوة ومطاردتها لجماعة البني عامر التي كانت تسيطر على منطقة واسعة امتدت في الشمال حتى عيذاب . ثم تأثرت

---

١ . طبقات ود ضيف الله – من ص ١٠ إلى ص ١٤ .

٢ . مقابلة ميدانية مع الشيخ / احمد حسن احمد – مشرف الدعاة عن مكتب الملحق الديني – بورتسودان ١٩٩٩م.

المنطقة الشمالية الغربية للحبشة بحروب الإمام «أحمد القرين» و«النجاشي» التي بلغت ذروتها في العقد الخامس من القرن السادس عشر وكانت خاتمة المطاف من المنطقة الشمالية للحبشة حول التجارة ومراكز النفوذ وبدأت في تلك الفترة تباشير النشاط الأوربي ودخول كل من البرتغال والعثمانيين والصراع بينهما حول التجارة ومراكز النفوذ . والنشاط الأوروبي على ساحل أفريقيا الشمالي في الزحف نحو الشرق وكان لزاماً بطبيعة الحال وفق التضيق والحصار من اللجوء للهجرة كطريقة يمكن من خلالها تحقيق الآتي :

١- أهداف الدعوة الإسلامية لسلطنة الفونج .

٢- إيجاد مداخل اقتصادية يمكن أن يتم من خلالها التبادل التجاري .

٣- عمل تنظيمات السلطنة في حوض النيل الأرزق كمنطلق سياسي من خلاله يمكن تثبيت دعائم الدولة وقاعدتها .

٤- خلق تحالفات جديدة مع الزعامات كمؤيدين وتوسع أطر المشاركة ويظهر ذلك جليا من خلال تحالف العبدلاب .

استطاعت دولة الفونج بهذه الهجرة وفي ظروف خارجية عصيبة تتمثل في انتقال ممارسة سلطاتها من جنوب أرتريا إلى وسط السودان وتجاوز مراحل الصراع خلال بداية القرن السادس عشر ونهاية القرن الخامس عشر وتم الصراع المتمثل في النشاط البرتغالي لكشف طريق بحري للوصول إلى الشرق والسيطرة على تجارتها وتحويلها إلى البحر المتوسط بعيدا عن أيدي العرب . خلال فترة حركة البرتغالين ونشاطهم لم تلتفت الدويلات العربية المؤسسة على سواحل أفريقيا الشرقية نسبة لانشغالها بالخلافات الداخلية ولجهلهم بتعاون بعض العرب مع البرتغاليين لتصفية الخصومات بينهم . بل كانت تقديراتهم مبينة على الخطأ الفاسد وقد سعت دولة الخلافة العثمانية للتوسع على

حساب الصراع (١) الحادث بينها فسعت للاستيلاء علي مصر .... والمصريون والعثمانيون على البرتغال فقد أضاعوا عشرات السنين قبل أن ينزلوا إلى مقاومة البرتغال في البحر الأحمر والمحيط الهندي بعد أن أخفقت القوات البحرية المصرية . كما أن الجزر الإسلامية كانت تحت سيطرة المسلمين منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وجعل على قيادتها أمراء من بنيه وقد قام الأمويون بتجديد عمارة عدد من الموانيء منها بته ومولندي وزنجبار وممبسا ولامو وكوله وقد تعرضت هذه كما تعرض غيرها من موانيء الساحل الأفريقي الشرقي لهزات عنيفة بسبب موقعها الإستراتيجي. فقد جاء العباسيون بعد سقوط الدولة الأموية وتبع هؤلاء عدد من الجماعات القبلية والمغامرين والتجار من مختلف الأقاليم . هذه هي الملامح العامة التى أحاطت مرحلة قيام دولة الفونج والتكوينة العربية الأفريقية لإنسان الفونج المسلم وخطوات الهجرات التي يمكن من خلالها قراءة أبعاد التفاصيل والسلوك الحقيقي لنتائج الاختلاط التصاهري العربي والآخر ، ومدى صلابة ذلك التحالف كما أورده «البصيلي» في كتابه تاريخ حضارة السودان . حيث أن هؤلاء الفونج انتقلوا من جبال النوبة إلى جبل موية المجاور لجبل سقدي على مقربة من سنار ، وكان كبيرهم / عمارة دنقس ، وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة وعليها شيخ شديد البأس يقال له «عبد الله جماع ». فعمل عمارة وعبد الله جماع المذكوران على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من أيديهم .

وهكذاأظهرت دولة الفونج منذ فجرها الأول مظهراً إسلامياً عميقاً فاتسعت حياتها الأولى مساهمة في حركة الجهاد الإسلامي . فقضاؤهم على مملكة علوة المسيحية هي من منطلق إسلامى كآخر عقبة في سبيل إنتشار الإسلام

---

١ . تاريخ مملكة سنار – تاريخ السودان – نعوم شقير – تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم – ٩٤ – ١٣٥ – الباب الرابع – بيروت – دار الجبل ١٩٨١م .

والتحالف الإسلامي كان له دور في تحقيق الانتصار ولم يتوانوا في مناصرة هذا البلد واشتركوا في حركة أحمر القرين التي حددت اتجاه تاريخ الحبشةوقد أسهموا في محاربة الوثنيين في داخل السودان نفسه فقد أفتى العلماء بجهاد النوبة بسبب غاراتهم على كردفان حتى يؤمنوا بالله فتألفت من أجل ذلك جماعات كان يتولى قيادتها (بدوي أبوصفية البديري). وأدخلوا نظم تعليم القرآن والضروري من الفقه التوحيدي ثم يعيدونهم إلى بلادهم . ليتولوا نشر الدين بين قبائلهم كما حاربوا الشلك لنفس هذا الغرض ومشاركتهم ضد الأحباش في القرن الثامن عشر وتبين أنهم كانوا على اتصال بالمسلمين في مصر لتحقيق هذا الغرض . كما ذكر نعوم شقير (إذ أن لويس الرابع عشر ملك فرنسا أرسل سنة ١٧٠٣هـ هدايا فاخرة إلى ياسو ملك الحبشة مع مبعوث اسمه (لانو اردي رول) فرحل إلى مصر في ١٩ يوليو سنة ١٧٠٤م وكانت جيوش الفونج يقودها الأمين ودمسمار ، ودعجيب شيخ قرى وكان أمير الفرسان الشيخ محمد أبو الكيلك كبير الهمج وكان لهذا النصر دوي هائل في العالم الإسلامي. (١)

بلغت الأخبار مصر والشام والحجاز وتونس والقسطنطينية والهند . فلم يكن إسهام الفونج فى نشر الإسلام متوسلين بالجهاد فحسب وإنما استعانوا بالوسائل السلمية عملوا على تنشيط الدعوة الإسلامية واشتدت رغبتهم في النهضة بالدين ومصداق ذلك تشجعيهم للجهود التي بذلها الفقيه بدوي البديري في جبال النوبة والجهود التي قام بها الشيخ إسماعيل الوالي في جبال كندكروا ، وقد ساهم في هذه الحركة الإسلامية الكبيرة الدعاة الوطنيون والدعاة الوافدون من البلدان الإسلامية المختلفة وتميز عهد الملك بادى الثاني أبو دقن بالنشاط الإسلامي البالغ . (٢)

---

١ . المرجع السابق – ص ٩٧ – ١٢٧ .

٢ . السودان عبر القرون – مكى شبيكة – دار الجبل – بيروت ط / ١ / ١٩٩١م ص ٩٣ – ٩٥ .

وقد كان في حوض وادي النيل مجموعة من الرجالات الدينية المتصوفين اتخذ كل منهم مركزاً معيناً يمارس فيه إدارة خلوة (كتاب) للتعليم وقد برز منهم عدد كبير وكانت البلاد . بعد ظهور الدعوة الإسلامية وقبل أن يدخلها العرب تحكم من قبل ملوك مؤهلين يملكون رقاب الشعب ولهم حرية التصرف في سكان المناطق التي يتولون حكمها ، وكان الملك وهو الرئيس الديني والدنيوي « شمولية الحكم الإسلامي في النظام السياسي » فكان يتولى البدء في بذر البذور في أول الطبيقات أن كان لهؤلاء الملوك مجموعة من المعاونين من رجال الدين والمدنيين بخاصة في الأماكن البعيدة عن العاصمة . وكان من الضروري أن تنتقل مثل هذه العادات والتقاليد وتمارس في العهد الإسلامي ويرجع ذلك إلى الحقيقة الواقعة إن ولاية العرش قد انتقلت إلى أبن الأخت او ابن البنت و حاشيته قد عدد رجال الحكم التقليديين ،وأخذت هذه التقاليد والعادات في التطور أيضاً في بطء خلال أمد طويل فتخلى الحاكم الذي كان جده وأولاده يدينون بلاسلام عن السلطة الدينية التى انتقلت إلى الشيخ المتصوف وتطورت هذه المشيخات الدينية وانتعشت معها المسائل السحرية وخوارق العادات وكان هؤلاء المشايخ من رجال الدين قوة لا يستهان بها لو تهيأت لها الفرصة السلمية من مجتمع متطورلا تشوبه الجهالة تدخله في كل يوم مجموعات كبيرة في مستوي أقل مما كان عليه السكان المحليون ، فلم يكن هناك سبيل إلى التقدم والتطور إلى مستويات أرفع ، وقد أثر ذلك « أرباب العقائد التي شدت إليه الرحال في علم التوحيد والتصوف » ... الشيخ صغيرون وأمثاله والشيخ تاج الدين البهاري وتوالى مشايخ العلم والطرق الصوفية متبعين التقشف والزهد والتعبد حتى دهش الملوك والقاطنون بمملكة سنار . (١)

ولعام ١٥٠٥م أثر واضح لدولة الفونج حيث تم التحالف بين العرب الفونج

---

١ . المرجع السابق – النهضة الدينية ص ٦٨ .

والقواسمة الذين هاجروا إلى مملكة علوة واستقروا فيها وظهر نفوذهم واضحاً جلياً في ذلك العصر وهو تحالف عميق الجذور، وأبلغ ما يدل على هذا العمق أنه استمر طوال القرن السابع عشر وبعض القرن الثامن عشر . وإسهامه في توجيه الحوداث في تاريخ السودان .

١- وهو تحالف أملته قرابات أسرية وأهداف إسلامية .

٢- فقد طابع الجهاد ضد الصليبية .

٣- الجهاد للقضاء على دولة المسيحين بعلوة .

٤- وهو يمثل إنطلاق التحول الجهادي في هذا الوقت والوقوف ضد الزحف الصليبى المنتقض في أرجاء العالم . وهى مساندة لجهاد شريف في أفريقية لمنازلة الصليبية . في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومناطق البلقان وجهاد المغارية ضد الغزاة البرتغاليين والأسبان وجهاد مسلمي الحبشة لقهر النفوذ المسيحي ، هذا الجهاد الذي تزعمه أحمد بن أبراهيم القرين . هذا الجهاد حقق أهدافه كاملة . فقد تمخض عنه القضاء على مملكة علوة المسيحية قضاءا تاما وإعلاء كلمة الإسلام في سودان وادي النيل .

في هذا الإطار يهمنا أن نتعرف على هذه الظروف السياسية والاجتماعية حول حدود دولة سنار نسبة لمؤثراتها المباشرة على سلطنة الفونج الإسلامية التي أسهمت في نشر الدعوة الإسلامية بالمنطقة الشرقية .

المطلب الثاني : الكوادر المخلصة

تمهيد

ومما يجدرذكره أن من أهم قنوات التبشير الإسلامي في منطقة النيل الأزرق والتي كان لها الدور الفعال المعتبر في نشر الإسلام في هذه الربوع النائية والمتعطشة لنور العلم والمعرفة حيث قبائل التداخل اللغوي والتمازج الحضاري والصراع القبلي والعنصري والمسيحي والتي قدوقفت شامخة أمام هذه التحديات هي جماعة الطرق الصوفية وجماعة أنصار السنة المحمدية والشئون الدينية وبعض الأفراد .

أولا : الطرف الصوفية والأفراد :

إن الطرق الصوفية قد لعبت دوراً هاماً في نشر الدعوة الإسلامية حيث أقامت الخلاوى التي ما تزال منارة للإسلام يقوم الشيخ فيها مقام المعلم والمربي والزعيم بل يقوم مقام المأذون والقا ضي الشرعي وهذا بالطبع نوع من تنظيم الحياة على المنهج الإسلامى .

والطرق الصوفية برغم حماسها للعمل الإسلامي إلا أنها تعانى النقص الشديد في الفقهاء الذين يعلمون الناس الدين وهذا ما تعاينه مناطق السودان عامة حيث تبشر المريدون لنشر الإسلام والطريقة لكنهم يجهلون كثيراً من أمور الدين وفاقد الشيء لا يعطيه.(١)

أما أثر الأفراد على الدعوة الإسلامية قليل جدا وذلك لأن الحس الإسلامي للأفراد في السودان الآن منخفض جداً إذ لم يكونوا كالأوائل الذين يمشون على الأرض دعاة بل الكثير منهم اليوم لا يعى بما حوله من حركة الإسلام وأيضاً ضده وبسبب التجارة والوظائف وأسباب المعيشة ارتحل عدد من المسلمين إلى مناطق الوثنية في جنوب النيل الأزرق فأثروا إيجابا في السكان فدخل على أيديهم كثر من الناس في الإسلام بطريقة مباشرة ، إلا أن بعضهم أثر سلباً حيث أحدث الاستغلال وسوء السيرة حواجز نفسية ما تزال الكنسية تزكيها حفاظا على وضعها المتهاوي لتجعل منها سببا وسيلة تقريها من الوثنيين .

ومن ذلك أن بعض الأفراد در ج على إقامة خلاوي بقصد لفت نظر الشئون الدينية والهيئات الإسلامية لدعمها مادياً دون عائد علمي .

وحتى الخلاوي الجيدة لا يجد شيوخها سوى إعانة قدرها ستون جنيها (سابقا) فقط مما يضطرهم لإضاعة غالب وقتهم بحثاً عن الرزق وبالتالي التقصير في

---

١ . مقابلة ميدانية مع الشيخ عوض الله يوسف مدير الدعوة الشاملة بولاية النيل الأزرق – المقابلة ١٩٩٦ .

حق الخلاوي والتلاميذ . والخلاوى المسجلة لدى الشئون الدينية الآن لم تكن كلها عاملة فمنها ما هو يعمل الآن ومنها ما هو متوقف بسبب الحرب والشئون الدينية ليس لديها مقراً للخلاوي .... مما ترك الأمر عرضة للإهمال من جانب الشيوخ.

وأيضاً فإن الشئون الدينية تعاني من ضعف ميزانيتها مما لا يفي بواجبات عملها . (١)

الخلاوي والمساجد المشهورة بالمنطقة

المنطقة	عدد الخلاوي	عدد المساجد
المنطقة الشمالية سنار	٧٧	٧٦
منطقة أبو حجار	٥٧	٢٩
منطقة السوكي	٢٧	٢٣
منطقة ضواحي سنجة	١٥	٣٠
منطقة الدندر	٢٣	١٣
المنطقة الجنوبية الكرمك	١٨	٩
منطقة قيسان	١٣	٥
المنطقة الوسطي الروصيرص	١٥٣	٦٨
الجملة	٣٨٣	٣٧٣

الشيخ أحمد بروناوي :

ومن الأفراد الذين كان لهم الأثر الواضح و البصمات الثابتة في الدعوة الإسلامية في جنوب النيل الأزرق الشيخ أحمد البرناوي الذي نسب نفسه إلى قبيلة البرون .

---

١ . مقابلة ميدانية مع الاستاذة / رحاب عوض الكريم – رياضة اجتماعية بولاية النيل الأزرق – واستاذ بكلية التربية جامعة الخرطوم ١٩٩٨ .

فهذا الشيخ قد قدم إلى هذه المنطقة داعية إلى الله لا يشغله عن الدعوة الإسلامية شاغل ، فاستطاع في زمن وجيز أن يدخل أكثر من ألف شخص في الإسلام ، كما استطاع أن يجمع الناس حوله بصورة لم يسبق لها مثيل .
وذلك لسببين أولهما أنه لم يتخذ الدعوة الإسلامية وظيفة هامشية يعطيها العفو من زمنه بل كانت الدعوة هدفه ومقصده .
ثانيهما أنه جمع بين العلم والورع والتواضع مما جعله أكثر قبولاً في قلوب الناس وأكثر علمية في تفهم مشكلاتهم والتفاعل معها . وقد خطا هذا الرجل خطوة إيجابية في الدعوة بأن أقام مشروع إعاشة للمهتدين المابان بقرية بلتوما وذلك ليجمعهم حوله ثم يسر لهم كسب العيش الحلال ليكون عوناً لهم في ترك ما حرم الله من الخمر ولحم الخنزير بجانب أنه إذا ما توفرت لهم سبل كسب العيش الحلال لم يكن لديهم ما يشغلهم عن دراسة الإسلام وتعلم علومه .
وقد ساعدته هيئة إحياء النشاط الإسلامي في هذا العمل بجرار ودسك ، كما ساعدته منظمة الدعوة الإسلامية بأفراد في العمل في هذا المشروع . لكن مشروع بلتوما فشل لنواحى فنية بحتة . ثم أن الشيخ نفسه لم يمكث طويلا . ورغم ذلك لم يستطع الرجل أن يستمر في المنطقة وذلك لما لاقاه من معاكسة الكنيسة . وغادر المنطقة إلى أثيوبيا وما زال يعمل بها داعية . (١)

ثانياً : منظمة الدعوة الإسلامية :

امتد نشاط منظمة الدعوة الاسلامية خلال عام ليشمل الجزء الأوسط كله في المنطقة حيث أنشأت مراكز كنانة وسنار وهي بصدد إنشاء مراكز أخرى في كل من السوكي وكوستي والدندر .
ولها مراكز في شالي والكرمك وباو ، أخيراً قيسان حيث تتمركز الوثنية وكان عمل هذه المراكز يبشر بمستقبل مشرف للإسلام في هذه المناطق إلا أن

---

١ . مقابل ميدانية مع الشيخ / عوض الله يوسف مدير ادارة الشؤون الدينية – ولاية النيل الأزرق ١٩٩٧م.

الإضطرابات الأمنية حالت دون استمرار العمل في كل من الكرمك وقيسان وشالي ومنظمة الدعوة الإسلامية منظمة يقوم عملها على الدراسات ، والتخطيط المدروس لذلك فهي أكثر الهيئات العاملة في الحقل الإسلامي وقد استفادت من أخطائها وأخطاء غيرها فبالتالي هي أكثر تأثيراً وثباتاً على الطريق . وأنشطتها في الدعوة المباشرة وغير المباشرة .

أ- الدعوة المباشرة :

هى الاتصال المباشر بغير المسلمين بطريقة فردية أو جماعية ودعوتهم للإسلام . وكان لها أثراً بالغاً في دخول مجموعات كبيرة شملت مناطق الأنقسنا والمنطقة الجنوبية (الكرمك) ومناطق معسكرات النازحين في شمال الولاية وجنوبها .

ومن المشكلات التي تواجه الدعوة المباشرة في العمل الإسلامي الحاجز النفسي الذي أوجده بعض جامعي المال من التجار وبعض النفعيين من الموظفين والذي يحتاج لفترة من التأليف قد تطول أحيانا . لكن بالرغم من ذلك فإن أسلوب الدعوة المباشرة فعلاً جلب الكثيرين من الوثنيين إلى دائرة الإسلام . (١)

وعندما أحست المنظمة بجدوى هذا الأسلوب استخدمت قوافل الدعوة ، وهى تخرج محمله بما يحتاج إليه من المؤن والمواد الغذائية للتأليف ثم تترك بالقرى المقصودة وتمكث بها أسبوعاً أو اثنين أو ثلاثة حسب الضرورة ، يعرضون الإسلام على الناس بعد جمعهم بواسطة زعاماتهم فيستجيب الكثيرون منهم للإسلام ، ويدخلون فيه طوعاً . وبعد انتهاء مدة القافلة يكن بالقرية شيخا يدرس الناس أمور دينهم كما يبني بها مسجداً بالمواد المحلية ، لأداء الشعائر الدينية .(٢)

---

١ . مكتب منظمة الدعوة الإسلامية – النيل الأزرق – محافظة باو – إدارة الدعوة – الصادق آدم ١٩٨٩م.

٢ . مقابلة مع الأستاذ / أحمد أبشر الحسن – مدير منظمة الدعوة بالدمازين ١٩٨٩م.

وتعتبر هذه القوافل أنجح السبل لنشر الإسلام في أواسط الوثنيين وغيرهم بعد جمعهم بهذه الوسائل . وقد استخدمت هذه القوافل في الأنقسنا عام ١٤٠٧هـ حيث دخل بواسطتها (٤٥٧) شخصاً في الإسلام . والملاحظ أن الشباب من أبناء القبائل الوثنية في المنطقة الجنوبية أكثر تجاوباً مع الإسلام من الكبار وذلك لأنهم أكثر اختلاطاً بالمسلمين وأنهم أقل تمسكاً بالعادات الوثنية التي ينظرون إليها بعين المتمرد على القديم الذى لايتماشى مع الحاضر المنفتح على المجتمع الأفضل بجانب أنهم لم يجدوا فى عادات قبائلهم سوى التخلف كما يذكر أحد المهتدين من أبناء الماليان .

المواكبة :

ولما كانت منظمة الدعوة الإسلامية تقوم بهذا العمل الدعوي ليكون ذا مستقبل للأجيال حتي يؤتي أكله بإذن الله فقد انعكست مجهودات منظمة الدعوة الإسلامية وظهرت ثمار التربية الإسلامية في بناء شخصيات المدعوين والدارسين في الآتي :

١- بدأ التلاميذ يعكسون ما يتلقون من تعليم إلى ذويهم .

٢- قام بعضهم في المساعدة في التدريس في الخلاوى المقامة في قراهم .

٣- أظهر بعضهم التمرد على أكل الخنزير وشرب الخمر وهى ممارسات معروفة عند قبائلهم . (١) كما أنشأت المنظمة أيضاً مدرستين بالدمازين في العام الدراسي ١٩٨٩ - ١٩٩٠م إحداهما للبنين والأخرى في حي فيفي .

أما مدرسة البنين فقد استوعبت خمسة وستين تلميذا لم يتخرج منهم أحد ، وأما مدرسة البنات فقد استوعبت نفس العدد تقريباً الا أنها لم تستمر ، والسبب المباشر هو الوضع الاقتصادي للأسر مما يضطر البنات للعمل في البيوت وقطع الدراسة .

---

١ . مقابلة مع الشيخ عبد الرؤف محمد حمزة مدير الشؤون الدينية والأوقاف مكتب سنار ١٩٨٠ - ١٩٩٥م
- كانت تسمى محافظة النيل الأزرق .

ب- الدعوة الغير المباشرة :

وتتمثل في التعليم والرعاية الصحية والمساجد والشباب والنازحين

المدارس :

وتشمل أربعة رياض للأطفال والإرشاد النسوى وتعليم الكبار وخلاوى القرآن ففى مجال المدارس أقامت المنظمة معهد شالي للقرآن الكريم الذى أقامه أحد المحسنين لمناهضة النشاط الكنسي بتلك المنطقة ثم أدير بعد ذلك وفق اتفاقية مع وزارة الشئون الدينية والأوقاف . (١)

رياض الأطفال :

أنشأت المنظمة روضة أطفال في كل من الكرمك وشالى وباو مهيأة بالوسائل التعليمية ولكن توقفت الروضتان بسبب الاضطرابات الأمنية عام ١٩٨٧م. كما أُنشئت روضة أخرى بالدمازين لنازحي شالي . أما روضة باو فتزاول عملها إلى الآن وتطبق منهجاً وضعته شعبة التعليم . (٢)

الشباب :

اهتمت المنظمة بالعمل الشبابي وأقامت مهرجانا خلال العام (١٩٩٢) تنافست فيه عدة فرق . كما أقامت بعض الفرق بمعسكرات النازحين وبعض أحياء الدمازين .

النازحون :

كذلك اهتمت بالنازحين وقدمت لهم العون حين قدومهم كما أنشأت وحدات دعوية بكل من معسكر العمارة ومعسكر قنيص شرق ومعسكر العصاصير. كل وحدة دعوية تشمل مسجداً وخلوة ووحدة صحية .

---

١ . مقابلة ميدانية مع الأستاذ مصطفى محمد - نائب والى النيل الأزرق ١٩٩٨م .

٢ . مقابلة ميدانية مع الأستاذ / محمد المهدى - مدير منظمة الدعوة الإسلامية بباو - مدير قرية حنان بابي رخم الآن .

ثالثا : الشئون الدينية والأوقاف :

وهي الجهة الرسمية التي يقع عليها عبء الدعوة الإسلامية ، وطبيعة عملها تتمثل في الوعظ والإرشاد للمسلمين وحمل الرسالة الإسلامية بجانب رعاية الخلاوي ومعاهد القرآن الكريم والمساجد بالدولة .

لم ينتقل عمل وزارة الشئون الدينية والأوقاف للمنطقة إلا بعد الاستقلال حيث كانت المنطقة مقفولة بواسطة المستعمر لا يدخلها أحد من المواطنين أو يخرج منها إلا بتصريح رسمي حكومي من المستعمر . والشئون الدينية أول من دخل المنطقة الجنوبية يحمل الدعوة الإسلامية بأسلوب مدروس ، حيث انتشر مرشدوها في المنطقة بحركة دؤوبة لنشر الإسلام وآدابه إلا أنهم كانوا يؤدون عملهم كأفراد أكثر منهم كشئون دينية وذلك للإهمال الشديد من الحكومة السودانية بالدعاة بعد الاستقلال إلى يومنا هذا .

الوعظ والإرشاد :

أسلوب الوعظ والإرشاد أسلوب ناجح في الدعوة بالتجربة إذا ساندته الدولة بتطبيق عمل شرعي وإلا سيكون مجرد حديث يقال ولا ينفذ .

وبعد التمدد في القاعدة السكانية كان ينبغي أن يواكبها تمدد في عدد المرشدين في الشئون ا لدينية إلا أن عدد المرشدين في كل المديرية لا يتجاوز الستة عشر مرشداً خمسة منهم بالمنطقة الجنوبية والوسطى والروصيرص .

رابعاً : أنصار السنة المحمدية :

وهي جماعة دينية ترتكز في دعوتها على تصحيح العقيدة واتباع السنة المحمدية ومحاربة البدع والضلالات . دخلت المنطقة في بداية سنة ١٩٦٠م ، ولها أثر فعال في مجال تصحيح العقيدة إلا أن بعض دعاتها اتصفوا بالشدة في بعض المواقف مما أثر سلباً على الدعوة الإسلامية .

أنشـأت عـدة مـسـاجـد فـي المنطقـة في كل من السـوكي . أبو قـرع - الـدندر والروصيرص وشالي والأخير به وحدة صحية وخلوة تحفيظ القرآن . (١)

١ . مقابلة مع الشيخ حمدين يوسف - رئيس أنصار السنة بالروصيرص .

المطلب الثالث

انتشـــار المراكـــز الدعـــوية

المساجد والخلاوي

إن للمسجد رسالة لا تخفى على أحد ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم إلى المدينة بدأ أول ما بدأ ببناء المسجد لربط العباد برب العباد ، تؤدى فيه الشعائر الإسلامية وتقام فيه حلق العلم والمعرفة ، وقد كان للمسجد على عهد السلف الصالح يمثل وزارتي الثقافة والتربية والتعليم وقد تخرج فيه القادة العسكريون والعلماء العاملون والأطباء والفلاسفة لكن أعداء الإسلام حين عرفوا خطورة المسجد وأنه الشريان الذى يغذى قلوب المؤ منين بالإيمان عملوا واجتهدو -ونجحوا للأسف - في إضعاف دور المسجد في الحياة العامة في معظم بلاد الإسلام .

في هذه المنطقة فإن رئاسة المسجد يتولاها في الغالب أئمة غير مؤهلين التأهيل الكافي ، فهم في الغالب ليسوا من خريجى الجامعات ولا المعاهد الإسلامية ، إضافة إلى أن مرتباتهم لا تتعدى ثمانين جنيهاً شهرياً ، هم فيها زاهدون الأمر الذي يجعلهم يبحثون - على حساب وظيفتهم - على أعمال أخرى يرتزقون منها وفي المديرية حوالى (٢٧٣) مسجداً مسجلة بالشئون الدينية منها ما هو مبنى بالمواد الثابتة ومنه ما هو مبنى بالمواد المحلية .

وقد أقامت منظمة الدعوة الإسلامية أربعة مساجد بالمواد الثابتة كلها في جنوب النيل الأزرق ، بينما أقامت واحداً وثلاثين مسجداً بالمواد المحلية ، ثلاثة منها بمنطقة سنار والبقية بجنوب النيل الأزرق ومنها ما هو مبني بالمواد المحلية .

وقد أقامت منظمة الدعوة الإسلامية أربعة مساجد بالمواد الثابتة كلها في جنوب النيل الأزرق وما يزال دورها تقليدياً . (١)

---

١ . مقابلة ميدانية مع الأستاذ / الياس جميس كوكو - مدير الرعاية بالدمازين - ١٩٩٧م.

أما في مجال التنمية فقد شرعت في تنمية قرية بلتوما الجديدة التي نزح إليها المابان بسبب الحرب ١٩٨٦م وهنا أشير إلى شابين من أبناء الكرمك كان لهما الفضل في ذلك عظم الله أجرهما حيث خططا القرية تخطيطاً علمياً .

كما أقامت المنظمة خلوة نموذجية ومسجداً تم بعد ذلك التصديق له بموردة وحطب حريق وفحم وقش بغرض تنمية وترقية مستواهم المعيشي ، كما منحتهم هيئة أحياء النشاط الإسلامى تراكتور يستغلونه لرفع مستوى دخلهم . وتصدق لهم أيضاً بوابور لرفع الماء وبرميلين جازولين أسسوا بها مزرعة خضروات لتدر عليهم عائداً ، وقد وافقت السلطات المحلية بزراعة مشروع إعاشي لهم ولكن اضطراب الأمن وسقوط الكرمك ١٩٨٧م في أيدي الخوارج أدى إلى أن يساق المهتدون جميعهم ليدخلوا أثيوبيا .

الخلاوي :

أما الخلاوى فذات كم هائل مسجل منها بالشئون الدينية والأوقاف (٣٨٣) خلوة بالمديرية . وهي بالرغم من أنها منارة للإسلام في القرى والريف ، إلا أنها لم تؤد رسالتها بالصورة المطلوبة حيث قل تجويد الأداء فيها وبالأخص بالمنطقة الجنوبية وذلك لعدم التأهيل الكافى لكثير من الشيوخ .

وقد أنشأت المنظمة خلاوى في مراكزها بجانب مساندتها لبعض الخلاوي ببعض المواد الغذائية أو المرتبات الرمزية ، كما حددت المنظمة مناهج الخلاوى التى أنشئت في القرآن الكريم والحديث والفقه . أقامت أيضاً خلوتين نموذجتين رغبة منها في تطوير أداء الخلاوي في قرية بلتوما الجديدة وقرية أفر الراقريق إلا أن الاضطرابات الأمنية أوقفتها ، وقامت الفكرة على تقديم وجبة ترغيبية للتلاميذ كما يقدم لهم الكساء وذلك لينشأ الأطفال مسلمين بدلاً أن ينشأوا على غير الإسلام. أنشأت المنظمة خلاوى سنة ١٩٨٦م في مناطق الأنقسنا إلا أنها لم تُخَرِّج إلى الآن حافظاً واحداً. ليس ذلك لسبب سوى أن الشيوخ أنفسهم غير حفظة وفاقد الشيء لايعطيه . وقد أقامت لهم المنظمة كورساً تأهيلياً في جمادى الأولى / ١٤١٠هـ .

وما تزال تسعى للحصول على الحفظة في هذا السياق . وبالرغم من ذلك فإن خلاوي المنظمة بجنوب النيل الأزرق يستفيد منها أكثر من ألف تلميذ. (١)

الإرشاد النسوي وتعليم الكبار :

أقامت المنظمة حلقات دراسية مزودة بكل الوسائل التعليمية للنساء في كل من الكرمك وشالي وياور ، مفتوحة لكل النساء ، تدرس فيها علوم الفقه السيرة والتوحيد والتجويد . إلا أن حلقتي الكرمك وشالى قد توقفتا بسبب الاضطرابات الأمنية ، كما أنشئت حلقة أخرى بالدمازين ١٩٨٨م وقد خرجت دفعتين ، كما أنشئت البعثة حلقات لتعليم الكبار في كل من باو والكرمك وشالي وقد توقفت أيضاً ، وحلقات التعليم لا تقتصر على محو الأمية فحسب بل تدرس معها الفقه والعبادات والطهارة وقراءة القرآن .

الرعاية الصحية والاجتماعية :

أقامت المنظمة بالتعاون مع الوكالة الإسلامية للإغاثة ووزارة الصحة وحدات علاجية بمعسكرات النازحين عددها أربعة وحدات في كل من العمارة ، أبو رماد ، فيفي شرق وفي حي العصافير .

دور المهتدين :

هم حديثوا العهد بالإسلام الذين لا بد من العناية بهم وتعليمهم أمور دينهم حتى لا يرتدوا بعد إسلامهم . شيدت لهم المنظمة دوراً في قراهم تسمى دور المهتدين لتعليمهم أمور دينهم كما أقامت المنظمة معسكرات دعوية لتعليم المهتدين بمعسكرات النازحين بالمنطقة الشمالية والجنوبية وتشمل تحفيظ القرآن ودراسة العلوم الإسلامية الأخرى .

---

١ . منظمة الدعوة الإسلامية – برنامج التعليم – مقابلة ميدانية مع الشيخ عوض الله يوسف .

المبحث الثاني

معوقات العمل الدعوي بالمنطقة

أولاً: وعورة المسالك والطرق:

إن البنية التركيبية والجيولوجية المبعثرة في جنوب النيل الأزرق والتي تنتشر فيها صخور القاعدة الأساسية Bas emet complex بأنواعها المختلفة النارية والمتحولة والتي تظهر في شكل سلاسل جبلية وجبال متناثرة تغطى مساحة النيل الأزرق حالياًوقد أسهمت اسهاماً مباشراً في وعورة المسالك والطرق بتلك الولاية فهذه الجبال الشاهقة والتركيبة النباتية المعقدة ، والتي تنتشر فيها الغابات والحشائش ، والتي تظهر إساساً كناتج لحركة لمياه السطحية بالمنطقة ، وهطول الأمطارالكثيفة ، هى مساهم آخر وفعال في سوء حركة النقل بكل المناطق الجنوبية .

إن علو المنطقة فوق سطح الأرض وارتباطها بالهضبة الأثيوية وكذلك الأخدود الأفريقي العظيم Pan African Vifvalley Nife وقد تعرضت تلك المنطقة إلى هزات زلزالية في العصر الكاميري وقبل الكاميري أسهم في خلق صروح متقاطعة كما وأن إنحدارها نحو النيل الأزرق ، قد أسهم في انتشار الأودية والخيران الأساسية التي تحمل كميات معتبرة من المياه في فصل الخريف وتكون تلك العوائق بمثابة المحور المعتبر للمياه في إتجاه النيل الأزرق ومن أمثلة الأودية والخيران (دنيا – يابوس – تمد – السلك – جونق – أقد – التركيب – الرهب – خور البورى – خور سنجة – خور حليبة – خور الروم ...إلخ).(١)

أدى هذا الوضع وبالرغم من أهمية الولاية الاقتصادية إلى عدم وجود الطرق المستغلة بكل تلك المنطقة ما عدا طريق الكرمك والدمازين ، والذي يعتبر طريقاً حيوياً رغم وعورة مسالكه ، خاصة في فصل الخريف ، وكما أن عدم وجود

---

١ . دراسة مسح جيلوجي لولاية سنار – النيل الأزرق – هيئة توفير المياه والمشروع الأمريكي بالسودان ١٩٩٥م .

كباري على هذه الخيران يؤدى إلى عزل المنطقة الجنوبية تماماً في فصل الخريف ، غير أنه وبعد فصل الخريف يمكن التحرك داخل المنطقة بطرق داخلية رغم قسوتها ووعورتها وإرهاقها للقاصد لتلك المنطقة .

ويختلف هذا الوضع كلما اتجهنا شمالاً لولايتي سنار والجزيرة حيث الأراضي الطينية والطرق المسفلتة والمعبدة وانعدام الأودية والخيران الأساسية وسهولة المعابر إلا أن وضع الطرق والكباري لا يعتبروضعاً نموذجياً ما عدا طريق الخرطوم الدمازين الذي يشكل معبراً أساسياً يربط العاصمة بكل المدن والقرى المنتشرة على أطراف هذا الطريق إلا أن المناطق الشرقية والغربية لهذه الولاية يصعب وصولها أيضاً في فترة هطول الأمطار .

هذا الوضع يحتم على الجهات المسئولة الاهتمام مستقبلاً بالبنية التحتية والتي ستسهم حتماً في تطور الحياة بكل أمر الدعوة والجهاد في سبيل الله .

ثانيا : الإمكانات الكنسية :

إن التبشير الكنسي قد سبق الأديان في السودان حيث أن المسيحية دين سماوى سبق الإسلام في الرسالة وتمثل دخول المسيحية في السودان في قيام الدويلات المسيحية (علوة - سوبا) . وبحمد الله دخل الإسلام السودان ثم انتقل إلى مديرية النيل الأزرق بواسطة دولتي العبدلاب والفونج ثم الطرق الصوفية ، منافساً المسيحية بجانب الوثنية التي لم تكن ديناً مطاعاً سوى أنها مجموعة معتقدات هشة تسندها العادات والتقاليد المبنية على هذه المعتقدات .

وقد دخل التبشير الكنسى جنوب النيل الأزرق وركز عمله في المنطقة الجنوبية الكرمك بعد مسح للمنطقة (١٩٣٥ إلى ١٩٣٦م) حيث أدعت حكومة الاستعمار آنذاك بأن المنطقة موبوءة بذبابة التسي تسي فقفلتها وحظرت دخولها على المواطنين القادمين من الشمال .(١)

١ . مقابلة ميدانية مع الدكتور أحمد أبشر الحسن - مدير منظمة الدعوة الإسلامية بالنيل الأزرق ١٩٩٧م.

وكانت ترمى من ذلك إلى هدفين : أولهما قفل هذه المنطقة لدراستها وتهيئتها لدخول التبشير الكنسي والذى يعتبر وجودا عقائديا يجعل من دخول المسيحية هذه المنطقة حزاماً واقياً لأواسط أفريقيا من الإسلام الذى سيفد إليها من الشمال .

وثانيها : أن الاستعمار أراد أن يجعل لنفسه ستاراً ينهب من ورائه ثروات المنطقة الهائلة التي تتمثل في الثروة الحيوانية والغابية والذهب .

ثم دخل التبشير الكنسى الأنجيلي ١٩٣٧م . وأول منطقة دخلها هي منطقة شمال النيل التي تقطنها قبيلة الأدك الوثنية فأنشأت فيها كنسية شالي الإنجيلية ١٩٥٠م ثم أنشأت بعدها كنائس بالمواد الثابتة هى كنسية رمبيك والتي أستغلت كمدرسة حتى الاضطرابات الأمنية الأخيرة وكنسية بابوس الكبرى ١٩٧٦م.

- كنسية ودكة ١٩٦٤م.
- كنسية واليلي ١٩٦٤ م .
- كنسية الخير ١٩٦٤ م .
- كنسية بني مايو ١٩٧٦ م .
- كنسية بيه ١٩٦٤ م .
- كنسية سورة (غرب شالي) ١٩٦٤ م .
- كنسية برفه ١٩٦٤ م .
- كنسية البونج (أعالى النيل) ١٩٧٦ م .
- كنسيه قدم ١٩٨٧ م .
- كنسية السمعة ١٩٧٨ م .

ثم دخلت بعد ذلك الكنسية الكاثوليكية عام ١٩٧٧ فأنشأت الكرمك الكاثوليكية ١٩٧٧ بالمواد الثابتة ، ثم كنسية حي الزهور بالدمازين ١٩٨٠م والتي هي الآن الرئاسة - مبنية بالمواد الثابتة ثم أنشأت بعدها كنائس أخرى بالمواد المحلية في

كل من رورو ، أحمد سلك ، بوط ، شالي (كاثوليكية)، بلتوما ، ود النيل ، أبو نعامة . (١)

بل امتد نشاط الكنسية الكاثوليكية إلى شمالي النيل الأزرق في السنوات الأخيرة بعد عام ١٩٨٥م فأنشت كنيستات بسكر غرب سنار مبنية بالمواد المحلية والأخرى بالمواد الثابتة بمشروع السوكي الزراعي الذي يقيم فيه حوالي ألف لاجيء من الأريتريين معظهم من المسلمين ، إلا أن التواجد الكنسي مكثف جدا حيث تعمل ثلاث منظمات أخرى بجانب الكنسية الكاثوليكية هي منظمة الكنائس العالمية ، مجلس الكنائس السوداني (قساوستها سودانيون) ومنظمة Yoy And Me وكلها تنسق فيما بينها وتقدم الخدمات الصحية بجانب الإغاثة .

والإغراءات المادية لذوي النفوس الضعيفة كما أنشأت كنسية بالمواد الثابتة بسنجة ، وأكثر من كنسية في سنار بالمواد المحلية بل اتخذت بعض الدور في سنار تعمل ككنائس .

أسلوب التنصير

بدأت الكنسية الإنجيلية تبشيرها بتأليف قبيلة الأدك التى ركزت عليها بعد دراسة مستفيضة ، وكان ذلك بالمعاملة الاجتماعية حيث تقدم الكنسية الملح والسكر والملبوسات لأبناء قبيلة الأدك تقوم الكنسية بدفع سهم كل من يعجز عن دفع سهمه في صندوق اجتماعي أسسته ثم دعتهم من بعد ذلك للمسيحية مباشرة بالطعن في الكجور استبدال الرب مكان الكجور وبذرت فيهم العقيدة التي تعتمد على أن المسيح هو ابن الله الذي نفخ فيه بواسطة روحه (جبرائيل) فولدت السيدة مريم السيد المسيح عليه السلام . ثم تطور التبشير الكنسى بعد ذلك بإيفاد قساوسة بمستوى أكثر علما ووعيا وخبرة بالتبشير الكنسي ، مثل (*PETY*) اللتين الآن في أثيوبيا وما زالتا تقومان الآن بالتبشير الكنسي وتقدم الإغاثة للمواطنين بمعسكرات الخوارج في صوري (لانكوي)

---

١ . مقابلة ميدانية مع مسؤول الدعوة بسكر سنار ١٩٩٨م .

وقد وفرت الكنسية لهؤلاء القساوسة إمكانات حركية كافية ، من عربات الجيب والدرجات النارية ، وأجهزة اللاسلكي بجانب التاكسي الجوي ، الذي يربط شالي النيل بالخرطوم . ووفرت لهم أيضاً العوامل المساعدة في التبشير، من كتب ومسجلات تعمل باليدوسينما متجولة .. ثم أنشأت من بعد ذلك مدرسة بنات تصاحبها عيادة بقرية شالي النيل والتدريس فيها بلهجة الأدك ، ثم غيرت لغة الدراسة فيها إلى اللغة العربية ثم حولتها الحكومة بعد ذلك إلى مدرسة حكومية .

وقد سعت الكنسية كثيراً في تنصير المسلمين وبالأخص حديثي العهد بالإسلام بجانب أنها تبذل قصارى جهدها فى إقناع المواطنين بعدم إدخال ابنائهم المدارس بحجة أن المدارس تتبع المسلمين . اكتشفت الحكومة السودانية (حكومة عبود) عام ١٩٦٤م بمعاونة الحكومة المصرية أن الكنيسة الإنجيلية بشالي تعمل لصالح المخابرات الإسرائيلية فأوقفت قساوستها وأبعدتهم عن السودان . وما كان من الكنسية إلا أن تغير أسلوبها فاتجهت لربط الكنسية بجنوب النيل الأزرق وتبديل قساوستها البيض بآخرين من أبناء المنطقة يتلقون تدريبهم بكنائس أعالى النيل أمثال القسيس رشا محمد نور والذى كان والده من شباب الختمية ، وبعد اتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢م بدأت الكنسية الإنجيلية بإيفاد أبناء الأدك لتعليم اللاهوت والمسيحية في أوربا وأمريكا أمثال فيلب أدريس ، داوؤد حجر (تمرد) ونمنى تويا وآخرين ، وربما كان لربط الكنائس بجنوب النيل الأزرق بكنائس أعالي النيل ، أو الإقليم الجنوبي كله أثر كبير في إثارة التمرد القائم حيث أن الكنسية أفادت بوجوب تبعية جنوب النيل الأزرق إلى الأقليم الجنوبى (حيث كان الجنوب إقليماً واحداً) قبل التمرد عام ١٩٨٣م وحاول القساوسة إثارة ذلك لكن السلطات أوقفتهم عند حدهم .

وبعد ظهور التمرد عام ١٩٨٣ تم جمع أبناء الأدك المسيحين إلى الحركة ثم تم أخيراً جمع أبناء الأدك عام ١٩٨٧م بعد سقوط الكرمك في أيدي الخوارج .

أما الكنيسة الكاثوليكية فكانت أخطر من الإنجيلية حيث أنها أتت على تمهيد من الإنجيلية بجانب أنهاأكثر تطوراً في أساليب تبشيرها . فقد شملت وسائل تبشيرها التعليم والصحة بجانب الإغاثة التى تعول عليها كثيرا . (١)

ويشمل التعليم الوسائل التالية :

(١) رياض الأطفال :

رياضها مجهزة بكل مستلزماتها وتدرس فيها التربية المسيحية بجانب اللعب والأناشيد .

(٢) محو الأمية :

بلغت فصولها في كنسية الدمازين الكاثوليكية ستة فصول للجنسين ومفتوحة لكل راغب وتدرس فيها التربية المسيحية .

(٣) الإرشاد النسوي :

تدرس فيه الحياكة والتطريز والتدبير المنزلي بجانب التربية المسيحية ومفتوح لكل راغب .

أما في مجال الصحة فتوجد عيادة بكنسية الدمازين الكاثوليكية تفتح ثلاث مرات في الأسبوع رغم الشكوك التي تثار حول كفاءة و أهلية العاملين بهذه العيادة . وقد استخدمت الكنسية في مذهبها أسلوباً جديداً في التبشير هو جمعيات الإغاثة العالمية والتي أغلبها تستخدم الإغاثة كستار لنشر المسيحية بل إنها توزع الإغاثة في مناطق المسلمين والنازحين بعد الساعة الثانية عشر ظهراً . (٢) يوم الجمعة للهو الناس عن الصلاة ، وتوزع اللبن والبسكويت للأطفال أثناء اليوم الدراسي مما تسبب في تغيب كثير من التلاميذ عن الخلاوى (خلوة العمارة)

---

١ . التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل .
GEYER TO STOACK ١٩٢١ / ٢ / ٢٢ P.R.Q ٣٨ - ٣٧١ - ١١٣

٢ . مقابلة ميدانية مع رحاب عوض الكريم - باحثة اجتماعية - كلية التربية - جامة الخرطوم ١٩٩٧م.

والمدارس ...

دخل جزء من المواطنين المسيحين التمرد، باعتبار أنه يجمعهم مع المتمردين العرف والدين والمصير المشترك حسب فلسفة التمرد .

(٤) جدوي التبشير الكنسى :

رغم الإمكانيات الهائلة التي تعمل بها الكنسية فإنها لم تنجح في عملها التصيري إلا في شالي حيث دخل كثير من الناس المسيحية ،ولكنها فشلت في كل من الكرمك وقيسان ورومبيك ويابوس ومناطق الأنقسنا للأسباب الآتية :

- أن الكنيسة لم تخاطب وجدان الناس وفطرتهم بل حاولت فرض معتقدات تتنافى مع الفطرة وهى أن لله والداً ولد مولود .
- لم تتبع الكنيسة فطرة الإنسان العقائدية بل حاولت إشباع شهواته الدنيوية فأصبحت مرتبطة باللهو والطرب .
- رغم أنها تحاول أن تثبت في أذهان الناس أن المسيحية هى دين الزنوج والإسلام هو دين العرب ، إلا أنها لم تستطع الرد على أباطيل زعمها من الذين أسلموا ، مما جعلها مهزوزة عند المعتقدين .
- بعد خروج قساوستها عام ١٩٦٤ واستبدالهم بقساوسة سودانيين انخفض معدل التنصير وذلك لعدم اقتناع القساوسة السودانيين التام بالمسيحية كدين ، فهى بالنسبة لهم وسيلة للكسب والعيش الرغد، وفاقد الشيء لا يعطيه .

أما بعد حرب ١٩٨٣م فقد زجت الكنيسة في المنطقة الجنوبية أفرادها في حركة التمرد، ،وكانت تحضهم عليه مما أفقدها كثيراً من قوتها البشرية ، بجانب توقف كل الكنائيس الإنجيلية يجري الآن بناء كنيسية انجيلية بالمواد الثابتة بحي السكة حديد بالدمازين .

(٥) تجاوزات العمل الكنسي :

ظلت أهداف المؤسسات التبشيرية تغيير الطابع الإسلامي في كل مناحى السودان وجنوب والنيل الأزرق بصفة خاصة واتبعت أساليب خارج النطاق

المحدد من قبل الدولة .

لقد سعت أدوات التبشير في تبديل قبائل بأكملها ، كاستهداف قبيلة الأدك التي ركزت الكنسية عليها بعد دراسة مستفيضة حيث سلكت الكنيسة المسلك الاجتماعي ودرست المؤثرات الاجتماعية تحت مظلة التغيير الاجتماعي ودراسة العادات والتقاليد والأغذية التي يتناولها الإنسان في تلك المنطقة . حيث لعبت الكنسية في جانب العطاء الغذائي ومجانية تقديم السكر والملح والملبوسات لابناء القبيلة وأسست بعد ذلك صندوقاً اجتماعياً لتوحيد أبناء قبيلة الأدك وقامت بدفع أسهم كل من يعجز عن ذلك .

ثم دعتهم بعد ذلك للمسيحية مباشرة بالطعن في الكجور واستبدال الرب مكان الكجور وبذرت فيهم العقيدة التي تعتمد على أن المسيح هو ابن الله الذي نفخ في أمه بواسطة الروح جبرائيل فولدت السيدة مريم المسيح عليه السلام .

ولما وجدت الكنيسية أن هذه التجاوزات في طريقة التبشير ليست بذات جدوى سعت لإيفاد قساوسة أكثر علماً ووعياً وخبرة بالتبشير الكنسي مثل بيني الذي بنى كنيسة رور ، والمستر (بين) بأثيوبيا وما زالتا تقدمان العون للخوارج في صدري (لانلوكي) وقد وفرت الكنسية لهولاء القساوسة والجواسيس إمكانات هائلة من عربات للحركة والدراجات النارية وأجهزة اللاسلكي بجانب التاكسي الجوى الذي يربط الخرطوم بشالي .

وأيضاً وفرت لهم الأجهزة الإعلامية مسجلات ، كتب ، سينما متحركة. (١) وقد بعثت الكنيسة أبناء المنطقة لتعليمهم اللاهوت ليعودوا لمنطقة الأدك وهم مبشرون بالمسيحية وقد أوفدوا إلى إدارة أروبا خاصة منهم فليب إدريس ، داؤد حجر وآخرين استفادت منهم في أهدافها الغير مرئية كقيادة التمرد العنصري بالمنطقة واستهداف العنصر المسلم من فلاتة وعرب وغيرهم وخلق فكرة

---

١ . تم إستقراء هذه المعلومات من الداعية الشيخ الياس جميس كوكو مسؤول الخلاوي بمنطقة النيل الأزرق – باو ١٩٩٨م .

الأماتونج الكبرى وأصبحوا أحد روافد التمرد كعناصر تربوا لمهمة هى مهمة تدمير السودان وخلق القلاقل والفتن وقصة الانفصال وإضافة جنوب النيل الأزرق لخارطة التمرد العنصري والانفصالي جون قرنق في الآونة الأخيرة عام ١٩٨٧م حتى اليوم .

كما وأنهم قوة لا يستهان بها ولا يمكن تجاوزهم ، وباسم المسيحيين زجوا أنفسهم في تنفيذ المخططات الأجنبية كأزرع الجذور الإسلامية والعرب لاستئصالها وقد استطاعوا أن يضعفوا الاقتصاد بايقاف الزراعة في المشاريع الزراعية المطرية كرصفائهم في الجنوب وكردفان وغيرها من الحركات الانفصالية حديثة العهد .

وقد كان لربط الكنائس بجنوب النيل الأزرق و كنائس أعالي النيل في الأقليم الجنوبي أثر كبير في إثراء التمرد القائم حيث أن الكنيسة كانت تؤيد وجوب تبعية جنوب النيل الأزرق إلي الأقليم الجنوبى حيث كان الجنوب إقليماً واحداً وهذا أحد أطراف حركة التمرد ، وارتداء ثوب النصرانية للتوسع على حساب العنصر العربى المسلم في مناطق مختلفة ومغلغلة كجنوب النيل الأزرق وقبل عام ١٩٨٣م حاول القساوسة الجواسيس إثارة ذلك ولكن أوقفهم السلطان .

وبعد التمرد عام ١٩٨٣م سقط أبناء الأدك فى أيدي التمرد وبعد عام ١٩٨٧م عند سقوط الكرمك ثم كذلك سقوط أبناء الأدك في أيدي الخوارج .

وقد لعبت أدوار الكنيسة الخفية في القيام بالخدمات في مدينة الدمازين خاصة إجبار النازحين من الحرب بحي الزهور وقنيص شرق وغرب وتوزيع الإغاثة والمواد الطبية خاصة الساعة ١٢ ظهراً يوم الجمعة للهو الناس عن الصلاة وقد دخلت كثيراً من العناصر الأفريقية ، أبناء الجبال المسيحية بحجة

أنهم مصيرهم مصير العرب إن وقعوا في يد التمرد. (١)

وللكنيسة في النيل الأزرق وغيرها أساليب اجتماعية تتمثل في :

١ . العمل بإقامة المستوصفات كمستوصف الدمازين المتمكن من الناحية المعمارية وهم يستغلون مناطق الحاجة كذلك شراء الأدوية للمحتاجين .

٢ . خلق علاقات وصداقات مع المسلمين الضعفاء وتنصيرهم وكذلك مع المسيحين الجدد.

٣ . إقامة مراسيم الزيجات للوافدين والعمال الموسميين وأبناء القبائل بالمنطقة مع المسيحين الجدد.

٤ . إقامة المساكن الجماعية بالمواد المحلية لتجميعهم حتى داخل المدن كالدمازين سنار .

٥ . إقامة المهرجانات في أعياد الميلاد وغيرها وإرسال كروت عيد الميلاد لمن يراد استمالته . كما في كنابي الحصاد بسكر سنار والسقيات ، تعمل فرق لتأهيل العمل للمهرجانات الدينية والثقافية والأكاديمية وغيرها كما في كمبو الضريسة وكمبو ٦٤ العمرية وكمبو الخرطوم وكمبو (٣٣) بسكر سنار وخلق صداقات خارج الإطار السوداني لإستقبال رصفائهم بالحبشة وأرتريا وعمل تبشير مشترك بين الكرمك السودانية والكرمك الحبشية كمناطق تماس ومناطق التقاء قبلي وتبادل مصلحي .

٦ . تنظيم حلقات محو الأمية والإرشاد الديني في مواقع ، منزل ، ميدان ، أندية كما في مدينة الدمازين ودور الكنيسة الكاثوليكية .

٧ . الاستفادة من يوم الأحد لإيجاد صيغة تقرب بين المسيحين والجنوبين والمسيحين أبناء الجبال .

---

١ . دراسة قدمت لمؤتمر منظمة الدعوة الإسلامية عام ١٩٩٠م – بمحافظة باو .... وأنظر التبشير المسيحي بالعاصمة للدكتور حسن مكى ص ١٩..

ودائماً يعملون لأهداف الكنيسة وتجاوزاتها في ترسيخ المسيحية .

(١) اعتناق تلك المسيحية ديناً لتلك الجماعات .

(٢) التعليم والحديث باللغة الأنجليزية بدلاً من العربية .

(٣) غرس طقوس وعادات محلية مذركشة بطلاء أوربي .

(٤) كراهية أهل الشمال وغرس عدم الثقة فيهم .

(٥) تضخيم الفروق العرقية بين القبائل المختلفة .

(٦) توليد شعور بالتميز والانفصال عن بقية الجماعات .

(٧) خلق شخصية سياسية لهذه الجماعات أما شخصية محلية أو للسودان عامة .

تم تركيز الدراسة على تجاوزات العمل الكنسي في الإطار السياسي والاجتماعي والاستخباري بصورة واضحة ، نسبة للظروف المرئية التي خلقتها سواتر الأداء الكنسي المعاشة التي استهدفت جنوب النيل الأزرق عبر تاريخ ليس بالقصير فكانت أكلها الزقوم على أهل المنطقة فحيحاً جهنميا استعرت لظى العنصرية بين أبناء المنطقة العرب منهم والفلاتة ومجموعة أبناء الجبال المتمثلة في الأدك ، الفونج والبرون ، وغيرهم من الهمج ، القمذ ، الوطاويط وغيرهم من القبائل المسالمة وعلى سجيتها ودورها اللاديني وتخريب حضارات الشعوب الأفريقية وخلق الفتن القبلية والطائفية وغيرها بين أبناء الوطن الواحد والعمل على تأجيج الصراع القبلي ونسف مسببات الوحدة الوطنية ، وهكذا تجاه الأجنبى نحوالسودان وأعماله الاستهدافية لأساسيات البلاد .

الخاتمة

الآثار والنتائج

المقترحات والتوصيات

الخاتمة

الحمد الذي وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنى عند حسن ظن المهتمين بالدعوة وأساليبها وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه . وأن يقبض من يتبع الآثار السيئة لعملية التنصير في هذا الإقليم خاصة وفي السودان عامة فيضيف إلى ما ذهبت إليه ويحذر ويقترح ويوصي بما يُمكِّن من ردع هذا الزحف الصليبي ووقفه عند حده . فقد تكالبت الهيئات التنصيرية على مختلف مشاربها وتواطأت على حرب الإسلام وتدمير المجتمعات الإسلامية .

جاءت هذه الرسالة بحمد الله سبحانه وتعالى متأنية لتعالج أساليب التنصير في أهم الأقاليم السودانية الذي اتخذه المنصرون طريقاً لحصار الإسلام من جهة جنوب النيل الأزرق واستخدموه استراتيجية جديدة لامتداد الكنيسة الحبشية لاستفادة دولة أكسوم نسبة للتداخل القبلي والاعتقادي في كثير من الطقوس والتقاليد الأفريقية المشتركة عبر الروابط الروحية الخصبة والتي تتمثل في الكجور والسحر واستعمال ذلك في استخراج المعادن النفيسة كما في خور الدهب وأعياد السايبونج والتقرب لبعض المعتقدات الخصبة التي تؤثر بصورة مباشرة في خلو رباط التعنصر بين القبائل .

وجاءت الدراسة للتناول المستمر لبعض المرجعيات ذات المعلومات المضللة والتي تتخذ المسيحية منه حجمها كما في العهد القديم والجديد وكل الأدوات المستعملة للتدليل غير مقنعة وكثرا ما تحمل الأخطاء والتناقضات والتحريف العقائدي كزعم ألوهية المسيح وهذه الدراسة تناولت البعد النفسي والتكوين العقائدى لهذه الشعوب .

كما أن البحث تناول مسألة الدعوة وكيفيتها وطرق فلسفة أدائها واستحداث أساليبها وتقييم مدى آثارها في تلك الجهات النائية وكيف أن المنظمات الإسلامية تناولت بصورة جادة طرق الدعوة المباشرة وغير المباشرة في التأثير على تلك القبائل وتوصيلها .

فوضعت برنامجاً تم تنفيذ جزء كبير منه ، والجزء الآخر ظل دراسات يمكن الاستفادة منها ، تبلورت تلك الدراسات في :

١) القيام بعمل خلاوى بصورة منتظمة ومتجددة في أدائها مستحدثة في بنائها . وأسلوب التعليم فيها حتى يتم ترقيتها لكي تبلغ مصاف المدارس القرآنية في كل السودان مستوحية تجارب جمعية الإصلاح والمواساة .

٢) التركيز على تقديم الكساء والغذاء لإيواء هؤلاء الأطفال حتى ينموا على الهمم المعنية .

٣) زيادة الدعاة والمرشدين وتوفير أدوات الترحيل والإقامة بين تلك القبائل حتى يتم التقارب اللغوى و الانصهار الإجتماعي مما يسهل قضية التواصل الدعوي.

٤) دفع جزء كبير من الزكاة للمؤلفة قلوبهم والمحافظة على هذا المصدر مما يحفظ وجودهم ويطمئن قلوبهم للإسلام .

٥) تكثيف مسار التواصل الثقافي والمنارات الدعوية بالقوافل الصحية والإجتماعية بين الجهات المثقفة كالجامعات والمعاهد العليا ومناطق النيل الأزرق .

الاهتمام بالعمل النسوى في تدريبهن دعوياً واجتماعياً ومهنياً وتعليمهن مناهج التربية ليخرجن جيلاً يجابه خطط التغيير وفتن لأفكارهم العنصرية والاهتمام بالأطر الدعوية عبر المواجهات التربوية للشباب والطلاب وإقامة الدروس والمحاضرات والمعسكرات التأهيلية الثقافية التي تستنفر من كل طائفة شاب ينذر قومه بالقرآن وعلوم السيرة النبوية والحديث وبقية متطلبات الحياة المعاصرة وتجعل الشباب المسلم يعالج واقعة من منطلق إسلامي .

البحث لإعطاء خطة كاملة لجغرافية النيل الأزرق ومشاكل الدعوة بينها كان عبر التقسيم الجغرافي يناقش كل موقع على حدة ويتناول المناطق ذات التشابه الإعتادي والقبلي وتأتي الحلول بصورة جيدة ودقيقة وفي ذلك تقسيم واضح للعمل الدعوي الجاد .

وهكذا مضت الدراسة لتقف على قضية التنمية والمشاريع التنموية ذات الأثر

التجمعي لأكبر قطاع عمالي متجانس ومتباين الديانات والتعليم الثقافي من أبناء النيل الأزرق والجنوبيين وأبناء الشرق والنوبة وأبناء وسط السودان وكيف أن هذه المشاريع لها الدور الفاعل في الإقامة بصورة كلية في تلك المناطق وجاء نشاط التنمية في السبعينات بعد ارتفاع الأصوات المطالبة بالمساواة في التنمية وعدالة توزيع الثروة واتجهت الاتجاهات السياسية بالاهتمام في هذه المنطقة ووجدت المنظمات التبشيرية وسيلة كأداة لتحقيق أهدافها المسمومة فبثت من خلال تجنيد أبناء القبائل للعمل التنصيري وتعميد بعضهم بل القيام با عطاء فرص لدراسة اللاهوت والرجوع لجنوب النيل الأزرق ليصبحوا قساوسة محليين ويشرفون على العمل الكنسى المنظم يحاربون الإسلام ويعمون أوربا وأميركا وخطوطها وما الحروب الأخيرة في النيل الأزرق والعمل على استئصال الإسلام إلا نتاج لتلك الخطط الدسيسة لذا لا بد من دراسة كهذه لمنطقة النيل الأزرق ، وغيرها من المناطق التى تواجه الهجمات التنصيرية المنظمة .

الآثار والنتائج :

من آثار ونتائج العمل التبشيري في المنطقة أستطيع أن أعدد الآثار والنتائج الآتية :

١ . لم تسمح الكنيسة بتعليم بعض أبناء المنطقة الجنوبية مما أثر ذلك سلباً على تقدم المجتمع المحلي اجتماعياً وتنموياً .

٢ . فشلت في جزء من قبائل المنطقة الجنوبية روح العمل وبذرت فيها الكسل والخمول والاعتماد على الغير وذلك بكثرة ما تقدمه من عون مادي .

٣ . عملت الكنيسة في تمويلها على قبائل بعينها أثرت في عزل بعض القبائل .

٤ . عقدت الكنيسة بعض العادات القروية القديمة وربطتها بتعاليمها كالزواج بينما قفلت عقول القبائل التي عولت عليها التفكير وأورثتها التبعية العمياء مستغلة في ذلك عقدة الدونية الدينية التي تعانيها تلك القبائل .

٥ . أثرت الكنيسة أثراً غير مباشر في إذكاء نار التمرد والحرب الأهلية في السودان.

٦ . بفضل دخول المنظمات الإسلامية الطوعية دخلت مجموعات كبيرة من الوثنيين الإسلام .

٧ . المسيحية بإمكاناتها الهائلة تقف سداً أمام الإسلام وتستغل ضعاف النفوس .

٨ . التبشير الإسلامي على عكس الكنيسة له تأثير مباشر على كسر حدة التمرد ويظهر ذلك في قبائل التماس في المنطقة الجنوبية حيث استجاب المسيحيون للتمرد بينما رفض المسلمون التمرد إلا ذوي المآرب الشخصية .

٩ . حركة التجار والموظفين برغم من عيوبها إلا أنها ذات أثر إيجابي بالغ في تغيير نمط الحياة الاجتماعية للقبائل الوثنية نحو الأفضل .

المقترحات والتوصيات

(أ) المقترحات

دعم وتمويل ا لنشاط الدعوي بالمنطقة :

يقوم النشاط الدعوي في المنطقة (في الغالب الأعم) على مجهودات فردية غير منظمة ، تفتقر إلى المنهج العلمى السليم المتكامل ، كما تفتقر إلى الدعاة المؤهلين ، هذا إلى جانب انعدام مصادر التمويل إلا من بعض الهبات والتبرعات .

– لذلك وليكون في مقدور النشاط الدعوى مواجهة الحملات المكثفة بامكانات هائلة لا بد من :

أ – تكوين أمانة من المهتمين بأمر الدعوة تتولى مسؤولية العمل الدعوي في المنطقة .

ب – إيجاد جهات تمويل تقوم بتمويل العمل الدعوي على مستوى الأمة بمؤسساتها التعليمية الرسمية والشعبية وبمشاركة الأفراد من الداخل والخارج للمساهمة في إنشاء مشاريع تنموية تكون وقفاً للدعوة في المنطقة .

– إنشاء مراكز تعليمية تسخر لخدمة الدعوة وتأهيل المهتدين ، فالمنطقة ذات كثافة سكانية عالية تتوفر فيها مصادر المياه مما يشجع الاستقرار ، فهي بذلك في حاجة ماسة الى ا لتبشير الإسلامي لذلك نقترح انشاء مراكز دعوية في المناطق التالية :

- يابوس وديم منصور
- السمعة البرون
- منطقة الكرالو
- الرقيريق
- ديم سعد
- بالدقل
- فازوغلي

- خور الدهب

- بكوري مرمز

- أمسودة

- أبو قمى

- أم درفة

على أن تكون هذه المراكز من الآتي :

(١) مسجد

(٢) داخليات للطلاب ١٠٠ - ٥٠٠٠ طالب

(٣) منافع .

(٤) منزلين للأساتذة ومساعد طبي

(٥) مركز التدريب الفني

(٦) وحدة صحية

ويمكن الاستفادة من أهل الخلاوي في النيل الأزرق والسودان عامة للاستفادة من أعمالهم والمساهمة في إقامة مراكز ثقافية إسلامية والله من وراء القصد.[١]

إنشاء إدارة تعليمية ودعوية :

لقيام دعوة ناجحة ومؤثرة لا بد من إقامة إدارة تعليمية توفر الآتي :

(١) المنهج : ويقوم على حفظ القرآن ودراسة علومه ، علم الحديث والعلوم المتعلقة باللغة العربية والفقهية وغير ذلك من العلوم الإسلامية المناسبة

(٢) الدعاة : إعداد وتأهيل الدعاة وتوزيعهم على المنطقة .

(٣) المهتدون : توفير سبل العيش لطلاب العلم وتدريباتهم فنياً ومهنياً للاعتماد عليهم في تنمية المنطقة .

---

١ . تم استقراء المعلومات الجولوجية ووعورة المسالك الطرق وتصريف المياه والعمل الدعوى من المهندس الجيلوجي / السر كمال الدين نور المدنية - هيئة توفير المياه بسنار - وقد عمل في الاراضي الواقعة بهذه المنطقة منذ ١٩٧٨م .

عوامل مساعدة على نشر الدعوة (وسائل الاتصال)

١ . الإذاعة : تقوية الإذاعة المركزية وعمل إذاعة محلية قوية للتغطية ثقافة إعلامية عالية للنشاط التثقيفي بالمنطقة كما يراعى فيها البث باللهجات الموجودة في المنطقة.

٢ . وسائل النقل : طريق الدمازين الناصر الحيوى - وجود طريق الدمازين الكرمك يابوس - الناصر الذى يمكن إقامته على المناطق الصخرية على أطراف الهضبة الأثيوبية وهو أسهل وأرخص طريق يمكن تعبيده لربط أجزاء السودان المختلفة . ولهذا الطريق دور حيوى في التنمية المتوازنة ونشر الدعوة الإسلامية حيث يمكن الوصول من الخرطوم الى الناصر في أقل من ٢٤ ساعة .

التوصيات :

١ . مراقبة التبشير الكنسي وعدم السماح بإنشاء الكنائس إلا بتصديق السلطات الحكومية .

٢ . إبعاد الأجانب من التبشير الديني أياً كان إسلامياً أم مسيحياً حفاظاً على أمن البلاد .

٣ . العمل على تكوين جهاز إداري يتبع الشئون الدينية لمتابعة عمل الخلاوى في إحصائيات الطلاب وحفظهم .... الخ .

٤ . توحيد منهج الخلاوى ومتابعته بواسطة الشئون الدينية يحتوى على الحفظ والفقه والتفسير وغيرهما من العلوم الاسلامية

٥ . عمل كورسات تأهيلية لتأهيل شيوخ الخلاوى وأئمة المساجد غير المؤهلين بمختلف مستوياتهم.

٦ . تنظيم وتعيين استيعاب طلاب الخلاوى بمختلف مستوياتهم بالمدارس النظامية ومعاهد القرآن الكريم .

٧ . العمل على قيام مشروعات إنتاجية تنموية مرتبطة بخلاوي القرآن والداخليات .

٨ . تشجيع الخلاوى والمساجد في مناطق حديثى العهد بالإسلام وترقيته .

٩ . زيادة مخصصات شيوخ الخلاوي وأئمة المساجد وتوسيعها لتشمل الذين لم تشملهم .

١٠ . إلحاق المساجد بالشئون الدينية والأوقاف لدعمها وكذلك إلحاق مكتبات بالخلاوي ورياض الأطفال وإنشاء وحدات صحية .

الملاحـــق والخرائـــط والفهـــارس

١ - الملاحـــق

- نظرة محايدة لمستقبل التنصير
- نبذة تعريفية عن ساي بونج
- استبيان اخر معلومات عام ٩٨ / ١٩٩٩ م

٢ - خرائط توضيحية :

- قبائل جنوب النيل الأزرق
- أماكن ومساجد وخلاوي الولاية
- الصخور الأساسية في القطاع الاوسط

٣ - مراجع البحث

٤ - فهرس الموضوعات

ملاحق

نظرة محايدة لمستقبل التنصير

خطورة المسيحية في المجتمع الصناعي

بالنيل الازرق وكيفية مقاومتها :

منذ بداية حركة التصنيع في السودان ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بحركة نزوح واسعة ونسبة لظروق الحياة ومتطلباتها لجأت مجموعات كبيرة من القبائل لكسب العبش خاصة قبائل جنوب السودان من الدينكا والشلك والزاندي وجنوبي منطقة أبو ييي وبورو وأخيراً قبائل النوير ، ونسبة لقلة تكلفة هؤلاء العمال وعدم تقيدهم بتكاليف السكن والإعاشة العالية واعتماد الدولة عليهم في الأعمال الشاقة خاصة أعمال الحصاد والزراعة تركز الاعتماد عليهم بصورة أوسع في مسالة الحصاد خاصة وارتباطهم بها بصورة وثيقة وإمكانية تحملهم بكنابي الحصاد ومعسكراته وذلك لقلة الآلة الحاصدة وأي وسيلة تكنولوجية أخرى . (١)

الظروف الاجتماعية التى يكمن أن تربط بين قبائل الجنوب في مناطق الإنتاج والتصنيع وتركز إدارة هذه القبائل عبر سلاطين محدودين من مناطق نزوحهم الأصلية ، عادات وتقاليد هذه المجتمعات التي لم ترتبط بأى حال ن الأحوال لجهات أخرى عربية أو قبائل مناطق التصنيع .

وللارتباط الدائم بصورة متواليه في مواسم الحصاد بالنسبة للسكر كسبب أساسى لمجتمعهم نظموا أنفسهم على الأعمال الأخرى كصناعة الطوب والعمل بالزراعة المطرية والذهاب لمشاريع في مناطق القضارف والدالي والمزموم والدمازين ومشاريع جنوب النيل الأزرق كمشروع التكامل وبكل مصانع للسكر والأخشاب والفحم والصناعات الصغيرة بمنطقة النيل الأزرق . هذه القبائل

---

١ . مقابلة ميدانية مع الشيخ على أدم – إمام مسجد كمبو الهدى بمصنع سكر سنار ١٩٨٩م .

ركزت حيلتها الغذائية على صناعة الخمور البلدية وشربها نسبة لتوفرالذرة في كل مواقع الانتاج.

لذلك نزحت قبائل أخرى من غرب السودان من ولاية جنوب كردفان مثل قبائل النوبة هببات كرنفو . عبدالله ، تيرة ، كواليب ، دلنج ، وغيرهم من قبائل النوبة . ارتبطت هذه القبائل بالثالوث البغيض الفقر والجهل والمرض والذى يهيمن على سكان المناطق الصناعية وحتي تجد الدعوة الإسلامية الظروف الملائمة للانتشار بين المواطنين فإن الفقر أحد أركان هذا الثالثون هو الغذاء ويكون أمراً ضروريا لسكان هذه المنطقة لكي لا يجد النشاط الكنسى منفذا لتحريك نشاطه عبر الغذاء والكساء والدواء ولكي يستطيع مواطنوا كمبو الهدى الذى كان يسمي سابقا رأس الشيطان بسكر سنار ولمواطني المنطقة الصناعية سنار ومناطق الكدالو وجبال الانقسنا والكرمك ومناطق التصنيع بابي نعامة . فلا بد من توفير مشاريع زراعية للمواطنين لكي يوفروا قوتهم وإيجاد كل أسباب المدخلات الزراعية والإشراف الفني إجراء الدراسات اللازمة لتلك المشاريع وتحديد الجهات المساهمة في تنفيذها وتقريب القيادات المحلية مشاركة في إزالة المعوقات ووضع البدائل والحلول للمشاكل التي تواجه سير العمل خلال مراحل التنفيذ تتلخص في الآتي : (١)

١ . تحسين الوضع الاقتصادي .

٢ . تحسين المستوى الغذائي

٣ . الاكتفاء الذاتي من الغذاء للمواطنين .

٤ . تطوير المنطقة الصناعية وتقليل الهجرة الى المدن .

٥ . محاربة أنظمة الاحتكار للعمالة وغيرهم .

---

١ . مقابلة مع السيد / أبو ادريس الريح عوض الكريم – مدير مصنع سكر سنار – ١٩٩٨م.

٦ . دور التعاون المهم كمرور أساسى في عملية التنمية وذلك عن طريق تجميع الإمكانات المتاحة وتوظيفها وتنظيمها مع العمل لإيجاد مصادر تمويلية أخرى للعديد من مشاريع التصنيع والاستفادة من الخبرات المتخصصة ونجد جمعيات الصحية مثلا (٨) جمعيات بمناطق النيل الأزرق وفي كل فريق صناعي بسكر سنار ومصانع القوار والصابون ومصنع كناف أبي نعامة .

هذه الجمعيات الاستهلاكية التعاونية لها دور بارز في استقرار المنطقة وزمنهاوهذه المشاريع بجانب مشاريع التنمية الزراعية الريفية تسهم في تطوير الجهات الصناعية واطروحاتها وتعمل بصورة مباشرة في :

١ . ترقية الأداء العملي للمجتمع الصناعي .

٢ . التأثير في تنظيمات العمل الرسمية والغير رسمي .

٣ . ايجاد سلوك جديد لتداخل القبائل النازحة من مناطقها إلى المناطق الصناعية وهذا يسهم في صناعة التغيير حسب الاحتكاك والمناخ بين هذه القبائل وقبائل المجتمع الصناعي المستقرة .

٥ . النشر الواسع للثقافة الإسلامية وذوبان الثقافات الأخري ، نسبة لقوتها وضرورتها لاعتناق أغلبية الموظفين والعمال للعقيدة الإسلامية .

٦ . تقليد العادات العربية النابعة من أصل الدين الإسلامي نسبة لغرض هذه العادات نفسها والعمل بتقاليد (القيادات العليا في كل شئ) وهذه ظاهرة طبيعية للتأثر بالقدوة في مجال العمل وكل هذه الأوعية لها دور في نشر نظم وفكر الثقافة الإسلامية .

٧ . أخيراً دور المؤسسات الإسلامية في خلق الانتماء إلى المساجد والخلاوى والمدارس والمنظمات الإسلامية والمراكز الصحية والمجتمعات الإسلامية التي تقدم نموذجا بمفاهيم النموذج الصليبي والكنيسي . (١)

---

١ . مقابلة ميدانية مع الداعية – عبده عبد الله – مدير إدارة شؤون الدعوة بمصنع سكر سنار ١٩٩١م.

ملحق (٢)

نبذة تعريفية لعيد ساي بونج :

ساي بمعنى مريسة بونج اسم للشخص وهو مؤسس هذا العيد . كان هذا الرجل الذي يدعى بونج يجمع كبار القائمين على العادات بالاحتفال بهذا العيد وهو عيد المريسة ويكون هذا العيد على رأس كل سنة جديدة تصنع فيه الخمور بكثرة لذلك سمي بساي وهو المريسة وكل شخص له ميت سابقاً ملزم بشراء ملابس جديدة للميت سواء كان رجلاً أو أمراة ويبدأ هذا ببسط البرش داخل القطية المخصصة لذلك ويؤتى بالملابس الجديدة وتوضع الملابس في جانب البرش المفروش أو السباتة ثم يوضع الكسرة وتوضع الخمر ثم يوضع الزيت في الوسط وإذا كان كرامة تذبح ويصنع طعام إدامة يكون خالياً من الشطة خوفاً من أن تحرق وتضرب القرون (جل مالوما) ويمسح المحتفلون الزيت وتربط الأزر ويحملون الربابات الكبيرة التي تسمى (ملي) فالذين يحملون الربابات يطوفون الحلة ويشربون الخمور ويأخذون الدجاج من البيوت وتؤخذ مبالغ إن وجدت لأن هؤلاء هم فرقة الفنون . أما بقية الناس وهم أعيان المنطقة وأصحاب العوائد وكبار السن وبعض الشباب والنساء والأطفال يربطون الدمورية المحلية وهي القنجة وترتفع أصواتهن بالزغاريد هذه الخمرة تتجه إلى البيت الكبير أى البقعة المقدسة مثل بيت كامول وطيقو وفي فادمية وقبانيت وهذا الأمر يعم المنطقة بأجمعها ويحمل الرجال الحراب والكلبيتات والتريماشات المصنوعة من شجرة البابنوس وأيضا الرومة وعندما يصلوا إلى البقعة المقدسة يخرج السادن للبيت المقدس ويتقدم الناس ويقف أمامهم ويقول (مين بي) معناه جدنا قال : وهنا يسألون جدهم إن كان هناك حرب أو عدو أو حشرة ضارة بالزروع أو لم تهطل الأمطار يسألونه ... بأن يدور الشر ويأتي بالخير وينزل الغيث . ويعد هذا التضرع يخاطبون (المين) ويقولون له نحن عبادك ضعفاء ولازم تقف معنا وتساعدنا وبعد هذا التضرع يخاطب السادن جميع الموجودين رجالاً ونساءاً بأن

الغرض الذى جمعهم في هذا اليوم قد انتهى بسؤال المين وبعد ذلك يقول كل الأمر للمين .

وننتظر النتيجة وقبل أن يختم السادن كلامه تضرب القرون ويتحرك هو أمام الناس والناس خلفه . وبعد أن تتفرق الجماهير من مكان البيت الكبير يتجهون إلى بيت السادن ويقومون بوضع التمباك وعظم الخنزير مع ورق شجر الصباغ في النار ويجهزون دخانه نحو العدو المرتقب .

من الأشياء الغريبة في هذا العيد أنه إذا كان الميت قريب عهد بالعيد أو مات قبل أن يقوم ، يذهب ذووه رجالاً ونساء ويحملون معهم قرناً له صوت قوي يتوجهون إلى مكان القبر ينادون يا فلان تعال لنذهب إلى المنزل ويفرش البرش على قبر ويكون معهم نار وزيت سمسم ودجاجة بيضاء خالصة ويطلقون الدجاجة لتضرب بأجنحتها على القبر ويوقدون النار ثم يطفونها بالزيت ويغطون البرش باعتقادهم أنهم أخذوا الميت وهنا يتقدم رجل مسن ومعه حربة وكلبيته وعصابة ويقول كداب وتكون خلفه امرأة عجوزة تغني بالأغانى القصيرة وعند عودتهم من المقبرة وقد حملوا معهم الميت بزعمهم يقوم باللعب بالزمبارة والجل والربابة وبعد أن يلعب الناس تماماً يقوم صاحب البيت ويوقف اللعب ثم يقول طبعاً نحن لا ندري ما نقوله طبعاً الزول بتاعنا دا كان في الهواء والشمس والآن جبناه في المنزل ليمكث في مكانه الذي نضعه فيه نطلب منه ألا يمس الأطفال الصغار بالمرض وألا يتعدى على أحد فيقتله وبعد المخاطبة يستمر اللعب إلى الصباح . وإذا جاء العيد في السنة الجديدة يتم شراء ملابس جديدة له كما ذكرنا من قبل . وهذا ما يخص بالساي بونج).

ملحـــق (٣ / أ)

ولايــــة النيــــــل الأزرق

استبيـــان آخر معلومـــــات عن عـــــام ٩٨ / ١٩٩٩م

عن عدد الكنائس ونشاط التبشير

الولاية	المحافظة	عدد المراكز	عدد الكنائس	عدد القسيسين	المبشرين	طوائف اخرى
النيل الأزرق	الدمازين باو		١١ كنيسة	٢ قسيس ٥ طوائف أخرى	١٥ مبشر	٧ طوائف أخرى

عدد المستهدفين للتنصير	الذين اسلمـــــوا	جمع الدعـــــم	الغرض من تقديم الدعـــم
حـــوالي ٥٠٠ فـــرد	٣٥,٠٠٠	مجلس الكنائس بالخرطوم منظمة سودان أين منظمات خارجية	تفعيل العمل المسيحى والتبشيري

ملحق (٣ / ب)

ولاية النيل الأزرق

التمويل واللجان المساعدة للنشاط الكنسي

اسم اللجنة	اسم الكنيسة	جمع التمويل	نوع الدعم المقدم
لجنة العدل والسلام	الكنيسة الكاثوليكية	مجلس الكنائس بالخرطوم	الدقيق الاسترالي
النهضة المسيحية	الكنسية الأسقفية	منظمة سودان ايد	بن - سمن - ذرة فول مصري
التضامن المسيحي	الكنيسة الداخلية	منظمة أديت	قمح - بطاطين خيام - ملابس
سودان ايـن	الكنيسة الكاثوليكية	باقي منظمات خارجية	كراسات - عجلات كتب - مواتر
	كنيسة ضوة كرستي		عربات - عيادات علاج

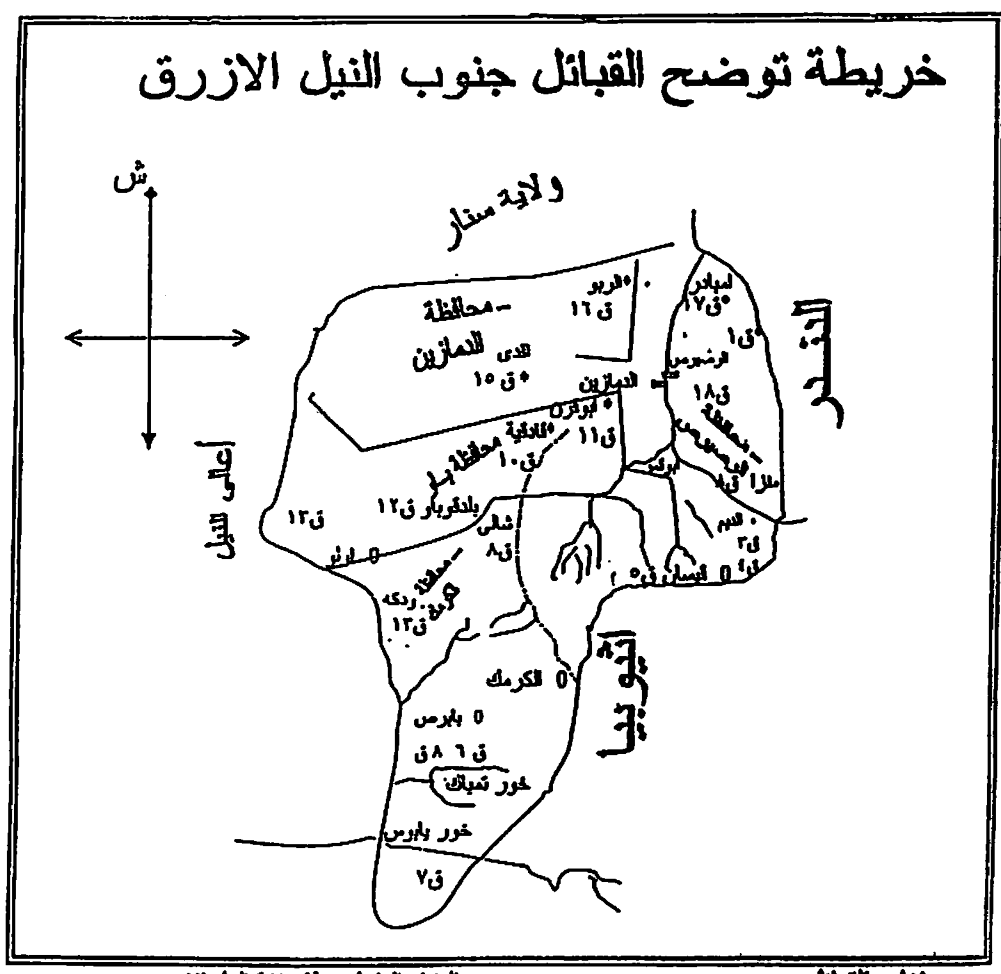
العدد الكلي لمسيحيين سابقا في الولايات الوسطي	عدد المستخدمين من المسلمين لتنصيرهم	الذين اسلموا من النصاري	الغرض من تقديم الدعم
٩٩٠٠٠ نسمة	حوالي ٢٠٠٠ فرد	حوالي ٢٠٠٠ فرد	لتفعيل العمل المسيحي التبشيري

ملحـــق (٣ / ج)

ولايـــة النيـــل الأزرق

الولاية	المحافظة	عـــدد المراكـــز	عـــدد الكنائس	اسـم القيس	المبشرين	العمالة
سنــار	سنــار	١٠ مراكز التابعة له مركز ٤٤ ود تكتوك مايرنو - ود الحداد - كمبو - الخرطوم - الحلة الجديدة - سكر سنار - القلعة وسط - ابابين - جبل دود	٣ كنائس كبيرة القديس يوسف الكاثوليكية	وليم دينق انسورة برنابا ماركوتوري	١٢ مبشر وليم قويك بيتر منجلوك بيترقلواك موسس قليم أكيك	٣ قسيس ٤ سسترات ١٤ مبشر
سنــار	سنجة	كمبو الوحدة (نوبة)	الكاثوليكية		جوزيف ماركة جميس أريج	
سنــار	سنجة	٥ مراكز ٢ حى القلعة وسط مدينة السلام - مصنع سكر سنار التقاطع - مدينة السلام	الاسقفية واحدة كبيرة القبطية سودان الداخلية	حنا جرجس دانيال دينق	٣ مبشرين محمد متيوس عبد الله موسي الزبير	٢ سسترات
سنــار	سنــار	٤ مراكز واحدة قبطية سودان داخلية	٧ كنائس ٣ كاثوليكية ٢ اسقفية ١ قبطية ١ سودان داخلية		١٩ مبشراً	٩ مبشر ٦ قسيسين ٧ سسترات

❖ المصدر : استقراء هذا الاستبيان من قسيس من الكنيسة الكاثوليكية بالدمازين .

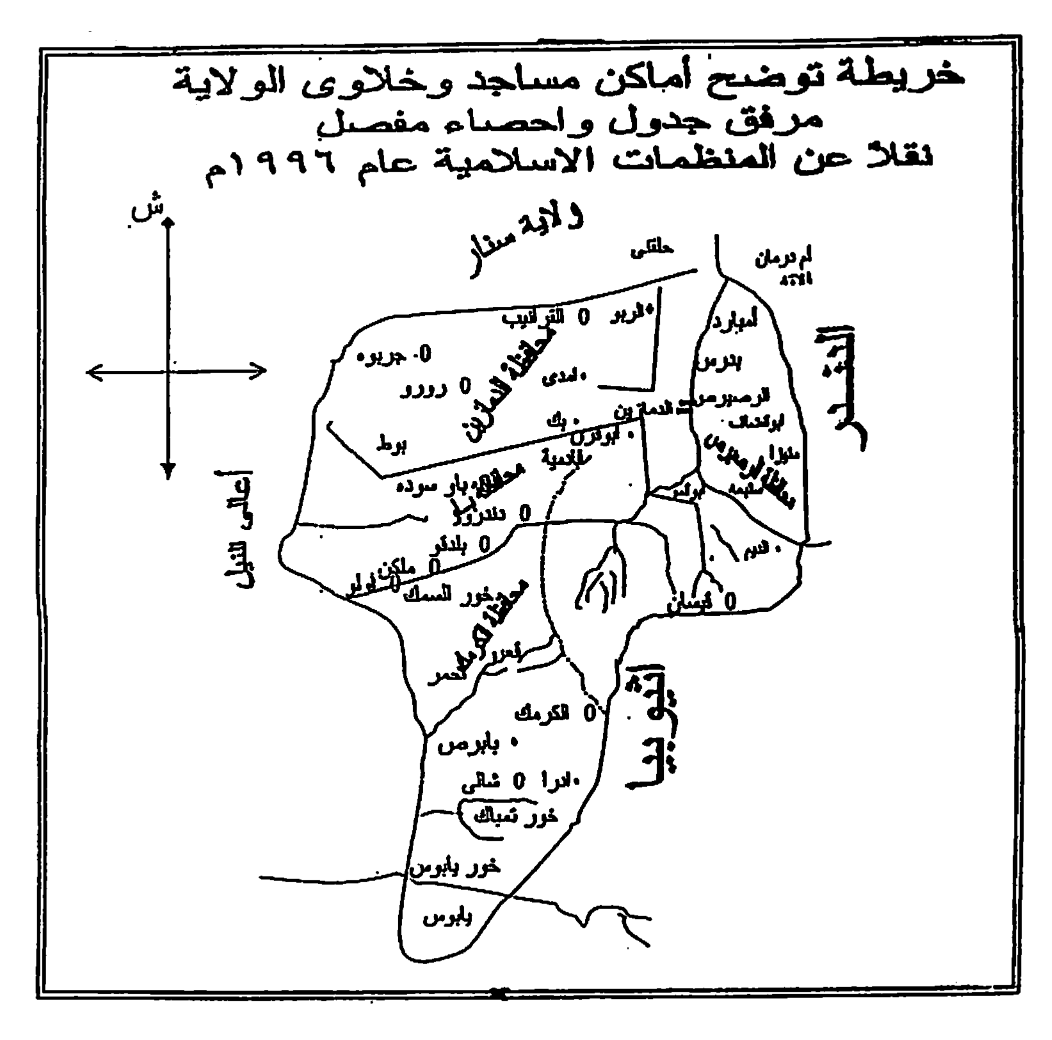


المفتاح العام لخريطة ولاية النيل الازرق

ق	قبيله
ع	خور
ــ	محافظه
•	مدينه

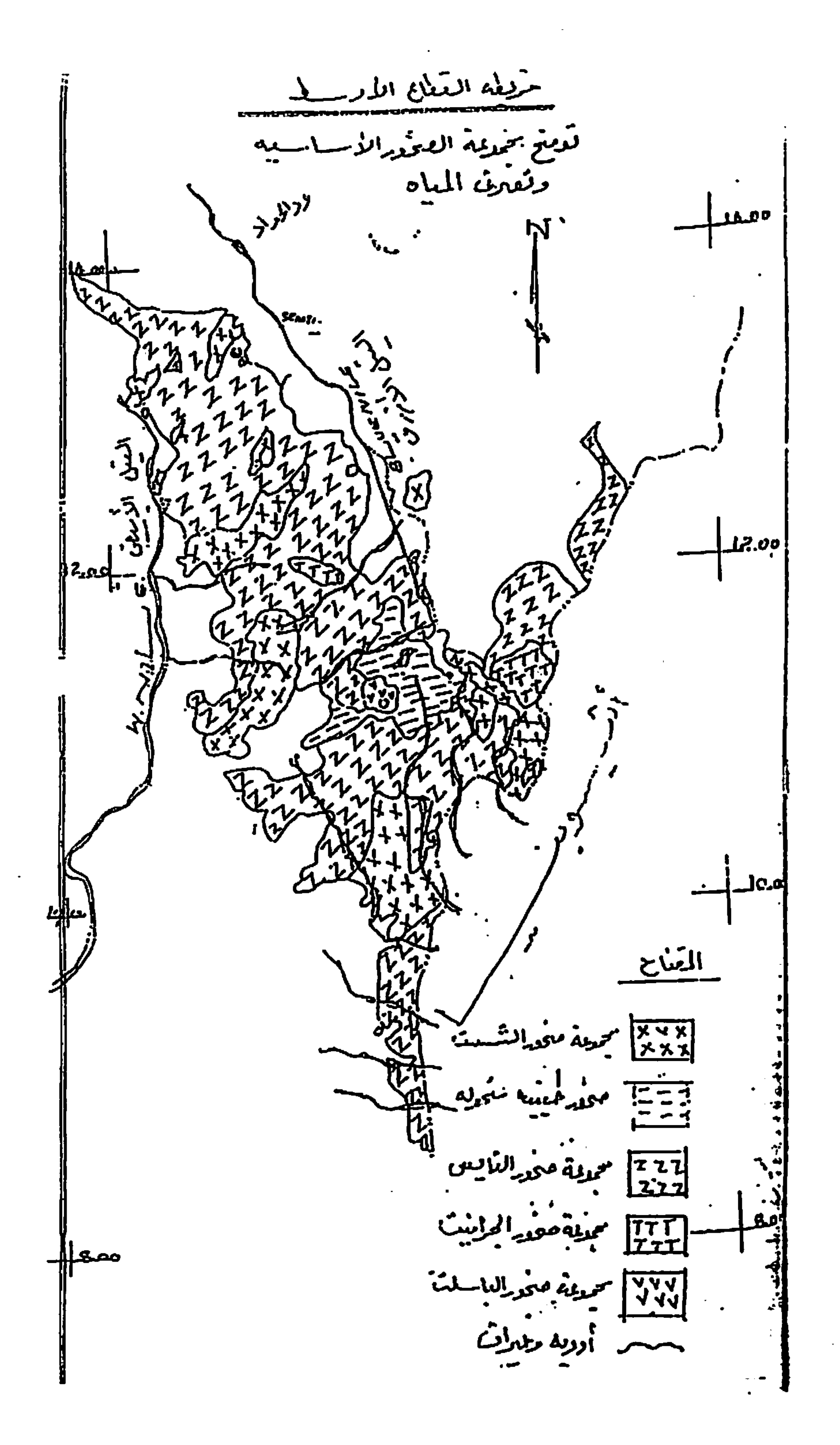
مفتاح القبائل

ق ١	ملاوبين
ق ٢	ميلازا
ق ٣	الداولة
ق ٤	البرتا
ق ٥	هوسا
ق ٦	السرلمك
ق ٧	الباكاكلة
ق ٨	المابان
ق ٩	انك
ق ١٠	انقسنا
ق ١١	انك و انقسنا
ق ١٢	بلدكو
ق ١٣	مابان
ق ١٤	البرون
ق ١٥	لمبرو (فلاته)
ق ١٦	فلاته
ق ١٧	فونج
ق ١٨	همج
ق ١٩	فلاته



المساجد والخلاوى المذكورة القرى حول المدن الكبيرة الموضحة بالخارطة عاليه

محافظة الكرمك ١٨ خلوة			محافظة باو			منطقة قيسان		
القرية	الخلوة	مسجد	القرية	الخلوة	مسجد	القرية	الخلوة	مسجد
الكرمك	١	٣	باو	١	١	قيسان	١	١
كرمك الزريبة	٢	–	بالقو	١١	١	مرمز	١	١
بابرص	١	١٠	ميك	١	١	اولبس	١	–
جرط	١	١	اولو	١	–	خرطوم بالليل	١	–
قد	٢	١	كيلقه	١	١	حلة الخير	١	١
بلورة	١	–	النورانيه	١	١	بكوري	١	١
بلي شكم	١	–	دار السلام	١	–	كبري الديم	١	–
ابيتوا	١	١	جام	–	١	كشنكروا	١	–
شالي	١	١	قادميه	–	١			
اورا	–	–	ديلدورا	١	١			
مالي	–	–						
ملزا	١	١						
مقف	–	–						
الكيلي	١	١						


خريطة القطاع الأوسط
توضح مجموعة الصخور الأساسية
وتصريف المياه
N
المفتاح
مجموعة صخور الشست
صخور طينية متحولة
مجموعة صخور النايس
مجموعة صخور الجرانيت
مجموعة صخور البازلت
أودية ومسيلات
12.00

فهـــرس المصــــــادر والمراجـــــع

(أ) القـــرآن الكريـــــــم

(ب) المراجـــــع العربيـــة

١	أخطاء يجب أن تصحح فى أفريقيا : تأليف : جمال عبد الهادي ومحمد مسعود . ود . وفاء محمد رفعت - دار الوفاء للطباعة - المنصورة ، ش . م . م ، ط٢ .
٢	أخطاء الغـزو الفكرى للعـالم الاسـلامـي ، تأليف د . صـابر طعيمـة - الطبعـة الأولى - عالم الكتب دون تاريخ .
٣	أسـاليب الغزو الفكرى للعالم الاسـلامي ، تأليف د . على مـحمـد جـريشة ومحد شـريف الزيبق - الطبعة الثانية دار الاعتصام .
٤	الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية - بدون ذكر مؤلف ولا تاريخ الطبعة أو النشر .
٥	الاسـلام (وجـه التـغـريب) تأليف أنور الجندى - طبـعـة دار النصـر - النـاشـر - دار الاعتصام - القاهرة بدون تاريخ طبعة ولا نشر .
٦	بحث عن جنوب النيل الأزرق (المشروع الأمريكي) - الزبير أحمد طمبل .
٧	تاريخ أوريا الحديث - تأليف : أ . ل فسر . ترجمة أحمد بخيت طبعه (٧) دار المعارف سنة ١٩٧٦م .
٨	تاريخ السودان - تأليف : صالح ضرار .
٩	تاريخ السـودان - تأليف : نعوم شقير - تحقيق محمـد ابراهيم أبو سليم - بيروت دار الجيل سنة ١٩٨١م .
١٠	تاريخ شـعوب وداي النيل - تأليف : د . مكى شـبيكة - الطبعة الأولى - دار الثقـافة بيروت - سنة ١٩٦٥م .
١١	التبشير المسيحي فى العاصمة القومية - تأليف د . حسن مكى سنة ١٩٩٠م .
١٢	التبشير النصرانى فى جنوب سودان وادى النيل - تأليف P.R.Q سنة ١٩٩٠م .
١٣	تطور التعليم فى السودان تأليف دكتور : محمد عمر بشير .
١٤	تقـرير لجنة التعليم والصـحـة عن سيـاسيـة التعليم فى شـمـال السـودان الموجه للحـاكم العام سنة ١٩٢٣م .

١٥	التنصير خطة لغزو العالم الإسلامى . أستاذ. محمد شريف الزيبق جامعة المدينة المنورة طبعة ١٩٧٢ م .
١٦	خطاب اللورد كرومر الى سير غورث سنة ١٩٠٨م .
١٧	خطط المشاريع المنتجة لقسم الرعاية الاجتماعية بمنظمة الدعوة الاسلامية عام ١٩٨٩م .
١٨	دراسة أسباب النزاع فى جنوب السودان - تأليف د. محمد عمر بشير - ترجمة : أسعد حليم - الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧١م .
١٩	دراسة جوليجية لمناطق النيل الأزرق عبر هيئة توفير المياه والمشروع الأمريكى سنة ١٩٩٥م .
٢٠	دراسة عن اللهجات المحلية سنة ١٩٩٩م - الأستاذ / مصطفى محمد على سعيد مدير
٢١	معهد التأهيل التربوى بسنار
٢٢	دور الأزهر في السودان - تأليف : محمد سلسمان .
٢٣	سنن أبى داؤود للحافظ أبى داؤود السجستانى الأزهرى - دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٩٣هـ - ١٩٧٤م .
٢٤	السودان عبر القرون - تأليف : مكى شبيكة - دار الجيل - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩١م .
٢٥	السيرة النبوية للامام الحافظ أبى الفداء اسماعيل بن كثير - تحقيق د. مصطفى عبد الواحد - نشر دار المعرفة - بيروت - ط ١٣٩٦هـ .
٢٦	كتاب الطبقات خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء (محمد النور بن ضيف الله) تقديم د . يوسف فضل حسن اصدار التأليف والترجمة - جامعة الخرطوم - الطبعة الرابعة ١٩٩٢م .
٢٧	الغزو الفكرى - أسبابه ووسائله - تأليف د. عبد الصبور مرزوق - الطبعة الثالثة - بدون تاريخ ولا نشر .
٢٨	الغزو الفكرى فى مناهج التعليم فى السودان - أهدافه ووسائله وآثاره فى العقيدة

والأخلاق ، الدكتور عبد الله عبد الحى أبوبكر ، رسالة دكتواره - جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١٢هـ - ١٩٩٥م .

٢٩ قضايا اللغة والتدين فى الأدب الأفريقى - تأليف أمبابي لويسبر - دار جامعة أفريقيا سنة ١٩٩٥م.

٣٠ مشاكل التبشير المسيحى فى السودان .

٣١ مشكلة جنوب السودان طبيعتها وتطورها ، وأثر السياسة البريطانية فى تكوينها - تأليف د. مد الرحيم - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م .

٣٢ المقاصد الحسنة - للامام السخاوى - طبعة دار الكتب مكة المكرمة - بدون تاريخ .

٣٣ مكانة تعليم القرآن الكريم من مناهج التعليم الحديث د. عبد الله الطيب .

٣٤ موسوعة تاريخ العالم (السودان وأفريقيا).

٣٥ ورقة النشاط المسيحى فى أفريقيا - قدمها د. عبد الرحمن أحمد عثمان - المركز الاسلامي بالخرطوم عام ١٩٨٥م .

٣٦ ورقة قدمت لمؤتمر المشايخ بالدمازين سنة ١٩٨٩م تحت رعاية والى ولاية الوسطى عبد الوهاب عبد الرؤوف .

فهـــرس الموضـــوعـــات